المملكة العربية السعودية
وزارة التـــعليم العـــالي
جامعة المـــلك سعـــود
عمادة البحث العلمـــي
مركز بحوث كلية التربية

العقل مكانته ودلالته الشرعية على الأصول الاعتقادية

إعداد

نجاة بنت موسى الذيب

أستاذ مساعد/ جامعة الملك سعود /كلية التربية

قسم الثقافة الإسلامية/ عقيدة ومذاهب فكرية

تم تحكيمها

المحتويات

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
الملخص	١
المقدمة	٢
المبحث الأول **مفهوم العقل ومكانته في الإسلام**	
المطلب الأول: مفهوم العقل	٥
المطلب الثاني: مكانة العقل في الشرع	١٠
المبحث الثاني **العقل بين منهج السلف ومنهج غيرهم من الطوائف الأخرى**	
المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من العقل	١٥
المطلب الثاني: موقف المتكلمين من العقل	٢٠
المطلب الثالث: موقف الفلاسفة من العقل	٢٤
المطلب الرابع: موقف الصوفية من العقل	٢٧
المبحث الثالث **دور العقل ووظيفته في الإسلام**	
المطلب الأول: دور العقل في أدلة توحيد الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات	٣٣
المطلب الثاني: دور العقل في أدلة البعث والجزاء	٤٣
المطلب الثالث: دور العقل في دلائل النبوة	٤٩
المطلب الرابع: دور العقل في إعجاز القرآن	٥٤
الخاتمة	٥٧
المراجع	٥٩
الملخص الإنجليزي	٦٤

العقل مكانته ودلالته الشرعية على الأصول الاعتقادية

نجاة بنت موسى الذيب

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية

جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

يهدف البحث إلى معالجة قضية من أهم القضايا الإسلامية المعاصرة وهي: اتهام منهج أهل السنة والجماعة بالجمود الفكري والسطحية، وضيق الأفق، وأنه تقليدي ولا يجاري مقتضيات العصر وواقعه، وهذا اتهام للدين بما ليس فيه، وشبهة باطلة، ولهذا فقد اقتضى الأمر دحرها وبيان أن الإسلام الصحيح والذي يمثله أهل السنة والجماعة هو الذي أعطى العقل دوره ومكانته الصحيحة، واستعمله في وظيفته التي خلق لها من غير تقديس له، أو رفعه فوق منزلته الشرعية، بل ومن غير إفراط ولا تفريط كما هو حاصل عند الطوائف الأخرى قديماً وحديثاً كالمتكلمين، والفلاسفة الذين ألهوا العقل وجعلوه مصدراً للتلقي فما وافق العقل قبلوه، وما خالف ذلك ردوه أو أولوه، وفي مقابل هؤلاء الصوفية أو الخرافيين لقد ألغو العقل وقبلوا مالا يقبل ولا يعقل. كما وقد أشتمل البحث على أهم النتائج والتوصيات منها: أن الإسلام أعطى للعقل أهمية كبرى عندما جعله شرط للتكليف. وأن العقل لا يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يبين إلا بالعقل. وأن الاعتماد على العقل وحده في المسائل العقائدية يؤدي إلى الانحراف والضلال.

مقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

لقد شرع الله – تعالى – للإنسانية ديناً واحداً في جوهره وأصوله، وجعل أساسه توحيده – عز وجل – والإخلاص في عبادته، ولقد ارتضاه لعباده ولن يرضى بغيره بديلاً كما قال – تعالى-: [وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ][1].

وقوله – تعالى-: [وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ][2].

والإسلام هو الدين الخالص الذي يدعو إلى عبادة الله – عز وجل - ، والانقياد لأمره وتقواه، وقد اقتضت مشيئته – تعالى – أن جعل هذا الدين دين عالمي وقد كتب له الخلود والبقاء ما دامت السموات والأرض وما بقي هذا الوجود.

ولقد تميز هذا الدين الخالد بخصائص عظيمة وجليلة تجعله أكثر رسوخاً وثباتاً في النفس والعقل لأنه إلى جانب كونه دين الفطرة فإنه أيضاً يهتم بالعقل اهتماماً كبيراً وقد جعل له مكانة عظيمة، وحدد له دوره ووظيفته في كل ما جاء به من عقائد وتشريعات.

ولقد تتبعت الآيات القرآنية – الكريمة – وكتب السلف ورسائلهم العقائدية فوجدت أن ذلك ثابت، بمعنى أن الآيات توجه العقل إلى النظر في الحجج والبراهين المسوقة لإثبات أصول الإيمان، وقواعد هذا الدين، ولهذا فإن من المؤلم والمحزن حقاً أن يتهم الإسلام بأنه دين الجمود والتبعية وأنه السبب في تخلف الأمة الإسلامية، مع أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى التعقل، والتدبر، والتفكر، وإلى كل ما فيه تقدم وحضارة البشرية، ويحذر من التقليد والتبعية ، ولكن أعداء هذا الدين قد أغفلوا هذه الحقيقة حقداً وحسداً من عند أنفسهم، وأطلقوا شبهاتهم تحت شعار التطور، والتحديث، وغيرها من المصطلحات الأخرى والتي قد اجتمعت فيها مؤثرات ومخططات الغرب ضد هذا الدين الحق.

---

١ سورة آل عمران – الآية ٨٥.

٢ سورة البقرة – الآية ١٣٢.

وخدمة لديني، ودفاعاً عنه، ورداً لتلك الشبهات، ولبيان الحقيقة ولإثبات عكس ما يزعم هؤلاء اخترت هذا البحث والذي شرحت فيه وبينت أن جميع ما جاء به الدين الإسلامي إنما يخاطب به العقل، وإن العقل يدل عليه ويؤكده، لاسيما وأن العقل والشرع كلاهما لله – تعالى- وليس للعقل المخلوق لله إلا إتباع خالقه. كذلك وقد بينت إن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى وهي طريقة أهل السنة والجماعة، أما من خالفوا ذلك فقد وقعوا في البدع والضلالات وخرجوا بطريقتهم تلك عن طريقة القرآن والسنة، وقد أعطيت أمثلة على ذلك (المتكلمين، والفلاسفة، والصوفية) حتى تكون الصورة حية أمام القارئ، ويكون على يقين تام بأن ما جاء به الإسلام إنما هو حق وتوافقه العقول السليمة، وأنه المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولهذا فقد جاء عنوان هذا البحث (العقل مكانته ودلالته الشرعية على الأصول الاعتقادية).

ولقد اتبعت في دراستي لموضوع هذا البحث ما يلي:

١. الاختصار، والبعد عن التطويل والحشو والتكرار.
٢. وضوح العبارة وسلامتها من الغموض.
٣. الاستعانة بالنصوص النقلية المسوقة أصلاً للدلالة العقلية.
٤. الاهتمام بالآيات من حيث نسبتها إلى سورها ووضعها في مكانها المناسب لها من البحث، والاكتفاء ببيان وجه دلالتها على المراد دون تفسيرها إلا إذا لزمت الحاجة لذلك.

خطة البحث:

انتظمت خطة البحث في هذا الموضوع بمقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

- **المقدمة وقد اشتملت على:**

سبب اختيار الموضوع.

- **المبحث الأول: مفهوم العقل ومكانته في الإسلام.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم العقل.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الشرع.

- **المبحث الثاني: العقل بين منهج السلف ومنهج غيرهم من الطوائف الأخرى**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من العقل.

المطلب الثاني: موقف المتكلمين من العقل.

المطلب الثالث: موقف الفلاسفة من العقل.

المطلب الرابع: موقف الصوفية من العقل.

- **المبحث الثالث: دور العقل ووظيفته في الإسلام**

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: دور العقل في أدلة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

المطلب الثاني: دور العقل في أدلة البعث والجزاء.

المطلب الثالث: دور العقل في دلائل النبوة.

المطلب الرابع: دور العقل في دلالة إعجاز القرآن.

- **الخاتمة.**
- **المراجع.**
- **المحتويات.**

المبحث الأول: مفهوم العقل ومكانته في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم العقل

- **تعريفه في اللغة:**

العقل لغة: مصدر عقل يعقل عقلاً، يقال: (وعقل الدواء بطنه أي أمسكه، وعقل البعير: إذا ثنى وظيفه مع ذراعه فشدهما في وسط الذراع وذلك الحبل)[1] لمنعه من الهرب.

يقول "ابن منظور":(العقل مصدر عقل ومعقول)[2] (وأصل العقل يرجع إلى: الحجر والنهي)[3].

وجاء في " قطر المحيط" (وعقل الشيء عقلاً فهمه وتدبره)[4] وهكذا فإن المعنى اللغوي في المعاجم العربية يدور حول المعاني التالية:

الإمساك، والحفظ، والمنع أو النهي، والحفظ والضبط، وهذه جميعها موجودة في العقل الذي به يُميز الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى وهو الذي يحفظ صاحبه ويمنعه مما قد يؤذيه أو يضره، وبه أيضاً يستطيع الإنسان أن يضبط أموره ويميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر.

ولقد اختلف الفلاسفة في تحديد موضع العقل في الجسم هل هو في القلب أو الرأس، أو هو المخ أو الدماغ أو في مكان آخر من الجسم ؟

بينما يرى الدكتور "راجح الكردي" أن ذلك تصور خاطئ منهم لأنه (مترتب على تعريفهم للنفس وعلى القول بجوهرية العقل سواء كان مفارقاً للبدن أو متصلاً بالبدن أيما اتصال)[5] ثم يضيف إلى ذلك بقوله: (والقرآن في نظرته للمعرفة العقلية، أو للمعرفة الإنسانية المميزة للإنسان عن الإدراك الغريزي في الحيوان، لا يجعل العقل جوهراً بل يجعله عرضاً أو صفة مميزة للإنسان ذلك أن الإدراك وظيفة الروح سواء كان الإدراك عقلياً أو حسياً، ولا يمكن حصر الإدراك بصورة دقيقة

---

١ مختار الصحاح، الرازي، ص ٤٢٤-٤٢٥ وانظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٨٤.

٢ لسان العرب، ج١١، ص ٨٤٥- ٨٤٦ وانظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٨٤.

٣ لسان العرب، ج١١، ص ٨٤٥- ٨٤٦ وانظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٨٤.

٤ ج٢، ص١٤١١.

٥ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ، ص٦٠٤.

في جزء معين دون غيره في الإنسان، لأن الإنسان مخلوق من مادة وروح، وتعمل كينونة الإنسانية بشكل متكامل ومتناسق وبسر لا يعلمه إلا الله سبحانه[1].

- **المعنى في الاصطلاح:**

لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للعقل تعدداً كبيراً، نأخذ منها أصحها وأرجحها وهو ما قال به الشيخ "ابن تيمية" – رحمه الله – في تعريفه للعقل، فإنه يطلق على هذا اللفظ عدة معاني وهي:

١. **العلوم الضرورية:** فيقول – رحمه الله –: (ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم. والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا)[2].

وتلك العلوم يشترك فيها جميع العقلاء كالعلم بأن الضدين لا يجتمعان، وأن الحادث لا بد له من محدث، وهذه العلوم معلومة في النفس علماً ضرورياً لا تحتاج إلى دليل يثبتها، بل أن كل دليل مهما بلغت يقينيته فإنما يستند إلى هذه العلوم الضرورية الأولية فإذا انتفت لم يصح شيء أصلاً.

٢. **الغريزة المدركة:** ويقول في هذا: (وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار، كما قال " أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما: إن العقل غريزة. وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء)[3].

أما " ابن قيم الجوزية" فإنه يقول: (والعقل عقلان عقل غريزة وهو أب العلم ومربيه ومتمره وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واستقام له أمره وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب وإذا فقد أحدهما فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه وإذا انفرد انتقص الرجل بنقصان أحدهما)[4].

---

١ المرجع السابق.

٢ مجموع الفتاوى، ج٩، ص٢٨٧ وانظر الرد على المنطقيين، ص ٢٧٦ وانظر مفتاح دار السعادة، ج١، ص١١٧.

٣ المرجع السابق، والرد على المنطقيين، ص ٢٧٦.

٤ مفتاح دار السعادة ، ج١، ص ١١٧ ونظر درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص٨٨.

وهذه الغريزة هي التي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوان، فبها يعلم، وبها يعقل ويميز ويختار الخير دون الشر.

يقول "المحاسبي": " هذا المعنى هو المعنى الحقيقي للعقل، وإنما يطلق العقل على غيره من المعاني مجازاً " [1] فبإمكان العباد أن يطلعوا بعقولهم على هذه الغريزة أهي موجودة عند فلان، أو ليست كذلك، بالنظر إلى أفعال جوارحه، فـــ(إذا رأوا من أفعاله ما يدلهم أنه قد عرف ما ينفعه من دنياه وما يضره، إذا رأوه طالباً عاملاً ما ينفعه من دنياه مجانباً لما يضره من دنياه، فسموا من كان كذلك عاقلاً وشهدوا أن له عقلاً وأنه لا مجنون، ولا تايه ولا أحمق)[2].

وهذه الغريزة التي هي إحدى معاني العقل، شرط في المعقولات والمعلومات (وهي مناط التكليف)[3]، فإذا عدمت في الإنسان سقطت عنه التكاليف.

وهذان المعنيان غزيزيان يشترك فيهما جميع العقلاء، والنقص فيهما ضرب من الجنون، والعقل بهذا المعنى محل التكليف الشرعي، وبفقده يسقط هذا التكليف، ولهذا يقول شيخ الإسلام " ابن تيمية "– رحمه الله –: (العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وبه يكمل العلم، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنـــزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنور)[4].

ويقول "المحاسبي": (العقل غريزة جعلها الله – عز وجل – في الممتحنين من عباده، أقام به على البالغين للحلم الحُجَّة. وأتاهم خاطب من قبل عقولهم، ووعد وتوعد، وأمر ونهي وحض وندب)[5].

---

١ العقل فهم القرآن، ص ٢٠١-٢٠٢

٢ المرجع السابق، ص ٢٠٢.

٣ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٣.

٤ مجموع الفتاوي، ج٣، ص ٣٣٨-٣٣٩

٥ العقل فهم القرآن، ص ٢٠٣.

٣. **العلوم النظرية**: وتحصل عند صاحبها بالنظر والاستدلال، وتهديه إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

ونعني بذلك العلوم المستفادة من التجارب، والمُكتسبة بواسطة العقل، والتي يضبطها الإنسان ويمسكها (وكلما كثرت تجارب الإنسان، زاد عقله بسبب ازدياد علومه ... ومكان ضبط هذه العلوم هو القلب، إذ هو وعاء العلم)[١].

ومما أشار إليه الماوردي في كتابه (أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي، لأنه نتيجة منه. وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل)[٢].

ويطلق العلماء على هذا المعنى من معاني العقل: العلم، وفاقد هذا العلم يسمى جاهلاً وأحمق، ولكن لا يسقط عنه التكليف لأنه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب... لأن للإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض فأولها الشعور ثم الفهم ثم المعرفة ثم العلم ثم العقل.[٣]

٤. **العمل بمقتضى العلم**: يقول الشيخ – رحمه الله -: (العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضاً، بل هو من أخص ما يدخل في العقل الممدوح)[٤].

ومن الأعمال التي يستوجبها العلم، الإيمان بالله –تعالى-، وتصديق كتبه، ورسله، والتزام أمره، والانتهاء عما نهى عنه، كحبس النفس على الطاعات، وإمساكها عن المعاصي، فالعمل من لوازم العقل، لأن صاحب العقل إذا لم يعمل بعلمه قيل: إنه لا عقل له.

(فالعقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق)[٥]. فحال من لم يعمل بعلمه أنه صاحب عقل يمسك علوماً ضرورية فطرية يعرف بها ربه – عز وجل – ولكن هواه صده عن اتباع موجب العقل فصار لا عقل له بهذا الاعتبار (وهذه هي حال

---

١ الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٤.

٢ المرجع السابق، ص ٥.

٣ مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ج١، ص ١٢٥.

٤درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص٨٨ وبقية المرتاد، ص٢٦٠.

٥ مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج١٦، ص ٣٣٦

الكفار الذين أخبر الله – تعالى – عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[1])[2] .

وقد يسمى العقل بهذا الإطلاق (معرفة وبصيرة)[3] .

وليس عدم العقل في عدم الإيمان فحسب بل عدم العقل في ارتكاب المعاصي فمن ارتكب ذلك لم يعقل عظيم قدر الله في جلاله وهيبته، وعظيم قدر ثوابه وعقابه في القيام بفرائضه، وارتكاب معاصيه.

فالعاقل من يغلب إيمانه هواه، وحلمه جهله، ويتفاوت العقلاء في العقل بهذا المعنى.

ولهذا يقول شيخ الإسلام " ابن تيمية " –رحمه الله– : (العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله – تعالى–: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[4]، ونحو ذلك، مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك، فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل الصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا)[5].

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن العقل يطلق على كل هذه المعاني الأربعة مجتمعة: العلوم الضرورية، والغريزية، والمكتسبة، والعمل بالعلم.

وهكذا فإن المعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي، بمعنى أن العقل صفة تميز الإنسان عن غيره من الحيوانات وذلك لأن صاحبه يعقل ما علمه، ويميز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل.

---

١ سورة الملك، آية ١٠.

٢ المحاسبي، العقل فهم القرآن، ص ٢١٨.

٣ المرجع السابق، ص ٢١٠.

٤ سورة الحديد، آية ١٧.

٥ مجموع الفتاوي، ج٩، ص ٢٨٦-٢٨٧.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الشرع:

لقد جعل الإسلام للعقل مكانة عالية لأن القرآن يخاطب الإنسان بوصفه كائناً متميزاً عن غيره لكونه عاقلاً يفرق بين الحق والباطل، والحسن والقبيح، والخير والشر، يعرف ما يضره وما ينفعه، بمعنى أن لديه القدرة على الاختيار من البدائل المطروحة أمامه، وذلك لكونه عاقلاً، ولهذا فقد جعله الله – تعالى – مناطاً للتكليف، وشرطاً لقيام الحجة على صاحبه ولهذا يقول الرسول – عليه الصلاة والسلام-: [رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يعقل][1] .

ويراد بالعقل هنا (تلك القوة الإدراكية المعيارية في الإنسان التي على أساسها حمل أمانة الخلافة، والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمله فهماً وتطبيقاً)[2] .

ولتأكيد قيمة العقل وعلو مكانته في الإسلام فإن السور القرآنية لا تكاد تخلو من ذكر الأعمال العقلية، وقد وردت على صفة ثناء ومدح، ونقصانها أو عدمها مذمة شرعية. قال –تعالى-: [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ][3].

وقال – تعالى-:[أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] [4].

وقال – تعالى-: [انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] [5].

إن هذه الآيات وغيرها لم تذكر معنى العقل أو حقيقته ولكنها ذكرت وظائفه وركزت عليها لعظم أهميتها، والهدف من ذلك توجيه العقل لأداء أعماله التي خلق لها لعله يصل من خلالها إلى معرفة خالقه – عز وجل- وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه.

يقول "ابن الجوزي": (إن أعظم النعم على الإنسان العقل، لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت

---

١ مسند الإمام أحمد، ج٦، ص ١٠٠-١٠١ وسنن النسائي، ج٦، ص١٥٦ ورواه غيرهما بألفاظ مختلفة، قال الشيخ الألباني: صحيح.

٢ خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد المجيد النجار، ص ٥٨.

٣ سورة الحج، الآية ٤٦.

٤ سورة محمد، الآية ٢٤.

٥ سورة الأنعام، الآية ٦٥.

الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم)[1].

وهنا تبرز أهمية العقل في الشرع من حيث كونه وظيفة تساعد على التدبر، والنظر، والتفكر، وغيرها من الوظائف الأخرى، ويسانده ويعضده في ذلك بقية الحواس، كالسمع، والبصر، ولكن يبقى ذلك في حدود معينة، وتحت ضوء النصوص الشرعية.

يذكر ذلك " عبد الحميد الكردي" فيقول: (وإذا كانت الحواس والعقل يعملان معاً وطريقا واحداً من طرق المعرفة فإن الدور الأساسي إنما هو للعقل وليس للحواس)[2].

ويعبر القرآن عن دور الحواس مع العقل في عملية المعرفة، وإنها لا تعمل إلا به، وإنه يقف من وراءها في تلك العملية فيقول – تعالى-: [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] [3]. وقوله – تعالى-:[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ] [4].

وقوله – تعالى-:[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] [5].

قال "مجاهد" في قوله – تعالى-: [لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ] (أي عقل[أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه، وقال الضحاك: العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب، وهكذا قال الثوري وغيره)[6].

لقد رفع الإسلام من شأن العقل، وجعل له مكانة كبيرة وعظيمة في مجال التدبر والعلم، والفقه، والنظر، لأن الله – تعالى – جعل ذلك من وظائفه التي خصه بها.

---

١ تلبيس إبليس، ص ٢، في فاتحة الكتاب.

٢ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص٦٢٥.

٣ سورة النحل، الآية ٧٨.

٤ سورة الملك، الآية ١٠.

٥ سورة ق، الآية ٣٧.

٦ تفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٢٩.

قال – تعالى-: [أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ] [1].

وقال - تعالى-: [هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ][2]. وقال – تعالى-: [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـــكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][3].

وهكذا فإن من تكريم الشرع للعقل، واحتفائه به أنه قصر الانتفاع بالذكر، والبيان، والموعظة، والتوجيه، والإرشاد القرآني على أصحاب العقول، وجعل تحصيل العلوم، والمطالب الشرعية، والمعارف الدنيوية لا يكون إلا بها.

جاء في كتاب " الإيمان والعقل" أن الله تعالى (حث على معرفته بالنظر والاستدلال، وأوجب العلم به لقوله تعالى مخاطباً نبيه – صلى الله عليه وسلم- [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ][4]، والأمر هنا للوجوب)[5].

ومما يدل على عناية الإسلام الفائقة بالعقل وحرصه الشديد على بقاءه سليماً لكي يؤدي ما كلفه به الشرع، أنه حارب وحرم كل ما فيه اعتداء على العقل وذلك كالتالي: (

١. حرم المسكرات بكل صورها وأنواعها، لأن فيها ضياع للعقل وللأهداف المترتبة على ذلك. فقال – تعالى-:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ][6].
٢. ذم التقليد الأعمى، والتعصب للرأي، وإتباع الهوى لأن في ذلك إلغاء للعقل وأدائه لوظيفته، والانحراف به عن غايته.

---

١ سورة الزمر، الآية ٩.
٢ سورة غافر، الآية ٥٤.
٣ سورة يوسف، الآية ١١١.
٤ سورة محمد، الآية ١٩.
٥ أحمد زكي تفاحه، ص ٦٧.
٦ سورة المائدة، الآية ٩٠.

فقال – تعالى-:[وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ][1].

٣. شدد في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول، وتنفر منه، كالتطير، والتشاؤم، وكل ما يؤدي إلى الخرافات والأوهام، لأن فيها تضليل للعقل وإبعاده عن الحق والحقيقة والواقع)[2].

٤. نهى وحذر من البحث في المسائل الاعتقادية بمعنى التفصيل في حقائقها وكيفياتها لأن في ذلك تضليل وتعجيز للعقل الذي لا يمكنه الوصول إليها.

(لأن عدم إدراكه لها إنما هو نتيجة افتقاره إلى وسائل العلم بها، فالعلم بالشيء فرع عن تصوره والتصور لا يقوم إلا على معطيات حسية، وهذا أمر متعذر بالنسبة لمسائل الغيب، والشريعة – كما قيل – جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها)[3].

ولهذا فلا سبيل للعقل إلا التسليم للوحي، لأن العقل مخلوق ولا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهية لا بالنفي ولا بالإثبات إلا أن يتلقى علمها من النبوة وهي التي أذن له بها خالقة – عز وجل -.

ولهذا يقول " القرطبي" في تفسير قوله – تعالى-: [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً][4]. (وفي هذا دليل على أن الأحكام لا تثبت إلا بالشرع، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن العقل يقبح ويحسن ويبيح ويحظر)[5].

وكل ذلك يؤكد بأن العقل تابعٌ للشرع وخادم له فهما متوافقان لا يتعارضان، لأن العقل كالبصر، والشرع كالنور، فإذا لم يكن البصر لم يُفد النور في النظر، وإذا لم يكن النور لم يدرك البصر وإن كان في غاية القوة، فكما أن بنور الشمس يحصل الإبصار، كذلك بنور العقل ونور الشرع يحصل الاستبصار، وهذا لا يعني الحجر على العقل بل إن له دوره وفي كل العلوم، ولكن في المجال الذي حدده الشرع، وبيان ذلك وتفصيله في المباحث القادمة.

---

١ سورة البقرة، الآية ١٧٠-١٧١.

٢ انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي حسن، ج١، ص ١٧٠-١٧١.

٣ المرجع السابق، ص ١٧٨.

٤ سورة الإسراء، الآية ١٥.

٥ الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٢٠٣.

المبحث الثاني

العقل بين منهج السلف ومنهج غيرهم من الطوائف الأخرى

لقد درج السلف – رضوان الله عليهم – على منهجية معتدلة وواضحة، تؤمن بالعقل كمصدر من مصادر المعرفة ولكن لا ترفعه فوق قدره الذي حدده له الشرع.

أما أصحاب المناهج الكلامية والفلسفية فإن السمة العامة لهم هي اعتمادهم العقل وتقديمه على النقل، وأخذهم بأحكامه على كل ما سواه وذلك لاحتجاجهم على أدلة النقل أنها لا تصل إلى درجة اليقين، مع إظهارهم تعظيمهم للشريعة وأصولها والرد على شبه الزنادقة والملاحدة وغيرهم بالأدلة والحجج البدعية المحرفة والتي لا تؤدي إلا إلى الاضطراب والحيرة، وكان الأولى بهم الرجوع إلى ما جاءهم به الرسول – عليه الصلاة والسلام – لأن ذلك هو الحق والصواب الذي يهدي إلى سواء السبيل، كما أن غيره يؤدي إلى الباطل ولهذا يقول الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – : (من قدم العقل على الشرع لزمه بطلان العقل والشرع، ومن قدم الشرع لم يلزمه بطلان الشرع، بل سلم له الشرع. ومعلوم أن سلامة الشرع للإنسان، خير له من أن يبطل عليه العقل والشرع جميعاً)[1].

ويقول الإمام " أبو الحسن الأشعري": (وإذا ثبت بالآيات صدقه – صلى الله عليه وسلم – فقد علم صحة كل ما أخبر به... وكان يستدل به من أخباره– عليه الصلاة والسلام– على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة ومن اتبعهم من القدرية وأهل البدع المنحرفين عن الرسل – عليهم السلام)[2].

وبالرغم من وضوح الطريقة الشرعية إلا أن هؤلاء يصرون على ما هم عليه من ضلالات، وقد تمادوا في تقديسهم وتقديمهم للعقل، وجرأتهم على الشرع، أما الصوفية وإن كانت طريقتهم عكس هؤلاء فقد أهملوا العقل إلا أنهم يعيشون معهم في تلك البدع والظلمات، وبيان ذلك في المطالب التالية:

---

١ درء تعارض العقل والنقل، ج٥، ص ٢٨٦.

٢ رسالة إلى أهل الثغر، ص ١٨٥– ١٩٢.

المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من العقل:

لقد تميزت منهجية أهل السنة والجماعة بالاكتفاء بالكتاب والسنة، والاستغناء بهما عن الطرق والمصادر الأخرى في بيان أصول الدين وفروعه من مسائل ودلائل، فهم لا يثبتونها إلا بما جاء به الكتاب والسنة، كما وأنهم لا ينكرون ان أركان الإيمان وما يتبعها من الشرائع منها ما يعلم بالعقل إجمالاً مع كونه معلوماً بالسمع، ومنها ما لا يعلم إلا بالسمع، وأن التمييز بين النوعين يعلم بالعقل، فما أمكن معرفته والاستدلال عليه بالعقل من مسائل الاعتقاد والشريعة فهو عندهم من قسم العقليات، وما لم يكن للعقل سبيل إلى إثباته فهو من السمعيات، وكون الدليل عقلياً أو سمعياً لا اعتراض على ذلك عند السلف لأنهم يرون أن هذا الأمر لا يقتضي مدحاً ولا ذماً ولا يترتب عليه صحة ولا فساداً، وإنما لابد أن يكون شرعياً لا بدعياً وذلك يتوقف على الطريقة التي بها يعلم ثبوت المسألة أو الأصل ولهذا لابد أن تكون الأصول التي يراد إثباتها أو الاستدلال عليها بالعقل ثابتة بالكتاب والسنة، ودلائلها العقلية تؤخذ كذلك من النقل، لأن من أهم ما يجب أن يكون عليه الدليل العقلي الشرعي ما يلي:

١. (أن يكون الشرع أثبته ودل عليه.

٢. أن يكون الشرع أباحه وأذن فيه)[١].

ولكن كون الدليل سمعي لا يعني أن لا صلة له بالعقل بل لابد مع السمع من العقل للعلم بصحته وفهم المعنى الذي يدل عليه، وهذا لا يكون إلا عن طريق العقل.

ويؤكد هذا ما جاء عن الشيخ " ابن تيمية" –رحمه الله-: إنه يرى أن الدليل السمعي يمكن وصفه بالعقلي لأن العقل إذا تصوره علم أنه يدل عليه وبهذا تكون جميع الأدلة الشرعية عقلية. فيقول – رحمه الله – : (ويتبين بهذا التحرير أن ما خرج من العلوم العقلية عن مسمى الشرعية وهو ما لم يأمر به الشارع فهو يجري مجرى الصناعات، كالفلاحة والبناية والنساجة، وهذا لا يكون إلا في العلوم المرجوحة، ويتبين أن مسمى الشرعية أشرف وأوسع، وأن بين العقلية والشرعية عموماً وخصوصاً، ليس أحدهما قسيم الآخر وإنما السمعي قسيم العقلي، وأنه يجتمع في العلم أن يكون عقلياً وهو شرعي بالاعتبارات الثلاثة: إخباره به: امره به: دلالته عليه)[٢].

---

١ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١، ص ١٩٨.

٢ مجموع الفتاوى، ج١٩، ص٢٣٣.

وهكذا فإن عقليات أهل السنة هي الأصول الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة،التي يمكن إثباتها والاستدلال عليها بالعقل، ودلائلها العقلية تؤخذ من النقل نفسه.

ولهذا يقول فيهم الإمام " ابن الوزير اليماني" – رحمه الله – : (فهؤلاء كتابهم القرآن وتفسيرهم الأخبار والآثار، ولا يكاد يوجد لهم كتاب في العقيدة، فإن وجد فالذي فيه إنما هو بمعنى الوصية المحضة بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وهم لا يعنون بالرجوع إليهما نفي النظر، وترك العقل والاستدلال البته... وإنما ينكرون من علم النظر أمرين:

أحدهما: القول بأن النظر فيما أمر الله – تعالى – بالنظر فيه وجرت به عادة السلف غير مفيد للعلم، إلا أن يرد إلى ما ابتدع من طريق المتكلمين، بل هو عندهم كاف شاف وإن خالف طرائق المتكلمين.

وثانيهما: أنهم ينكرون القول بتعين طرائق المنطقيين والمتكلمين للمعرفة، وتجهيل من لم يعرفها وتكفيره)[1].

وهذا يدل على أن السلف بريئون مما ألصق بهم من إهمال النظر بالكلية، وتعطيل العقل ودلالته، بل يتميز منهجهم العقدي بالوسطية لأنهم لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعتهم، بل سلكوا منهجية الكتاب والسنة في الاستدلال العقلي فكانوا على الصراط المستقيم، وسلموا مما وقع فيه غيرهم أصحاب الطرق البدعية، والمناهج الوضعية.

كما وأنهم تميزوا بطرقهم السليمة في الرد على المخالفين لطريقتهم.

ومثالنا على ذلك الإمام " أحمد بن حنبل" – رحمه الله – وردوده العقلية على الجهمية والزنادقة، الذين نفوا صفة العلو لله – تعالى- ولهذا يشيد به الشيخ "ابن تيمية"- رحمه الله – فيقول: (الإمام أحمد ونحوه من الأئمة، هم في ذلك جارون على المنهج الذي جاء به الكتاب والسنة، وهو المنهج العقلي المستقيم، فيستعملون في هذا الباب قياس الأولى والأحرى والتنبيه في باب النفي والإثبات، فما وجب إثباته للعباد من صفات المدح والحمد والكمال فالرب أولى بذلك، وما وجب تنزيه العباد عنه من النقص والعيب والذم فالرب سبحانه أحق بتنزيهه وتقديسه عن العيوب والنقائص من الخلق)[2].

---

١ العواصم والقواصم، ابن الوزير، ج٣، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

٢ بيان تلبيس الجهمية ، ج٢، ص٥٣٥ وانظر مجموع الفتاوى، ج٣، ص٣٥٨.

وقال أيضاً: (فسلك الإمام "أحمد" وغيره من الاستدلال بالنصوص وبالإجماع مسلك الاستدلال بالفطرة والأقيسة العقلية الصحيحة المتضمنة للأولى)[1].

كذلك وينتقد الشيخ – رحمه الله – كل من أغفل الاستدلال النظري الشرعي، واقتصر على الجانب السمعي من المنتسبين للمنهج السلفي فيقول: (كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحد بغير الطريق التي يعرفها، حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك)[2].

ويقول أيضاً: (إذا كان الشرع قد دل على شيء، أو أوجبه، وقُدّر أن في العقل ما يوافق ذلك، لم يضر ذلك، وإن كان قد يستغنى عنه، فلا يطعن في صحته للاستغناء عنه)[3].

من خلال تلك النصوص وغيرها يظهر لنا تأكيده – رحمه الله – على براءة السلف – رضي الله عنهم – مما اتهمهم به أهل الكلام من أنهم أهل تقليد وليسوا أهل نظر واستدلال وينكرون حجة العقل، فيقول: (فيقال لهم ليس هذا بحق. فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن، هذا أصل متفق عليه بينهم) .

والله قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكر والتدبر في غير آية، ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك، بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة، من النظر والتفكر والاعتبار والتدبر وغير ذلك، ولكن وقع اشتراك في لفظ " النظر والاستدلال" ولفظ " الكلام" فإنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالهم، فاعتقدوا أن إنكار هذا مستلزم لإنكار جنس النظر والاستدلال)[4].

الحقيقة أن النظر العقلي الشرعي جاء الأمر به صريحاً في القرآن والسنة، والمعروف عن السلف إتباعهم ما جاءهم به الرسول – عليه السلام- ولهذا فإنهم لا ينكرون النظر العقلي بل يردونه إذا كان مناقضاً لما جاءت به شريعة الله – تعالى- لأنهم – كما ذكرت سابقاً – استغنوا بما في القرآن من الدلائل الشرعية، وكفوا أنفسهم عن غيره من الدلائل الأخرى الكلامية، لأنهم وجدوا أن أدلة القرآن هي الكافية

---

١ بيان تلبيس الجهمية، ج٢، ص٥٣٧.

٢ مجموع الفتاوى، ج١١، ص٣٣٨.

٣ درء تعارض العقل والنقل، ج٩، ص٣٩.

٤ مجموع الفتاوى، ج٤، ص ٥٦.

والشافية وهي التي تقوي الإيمان وتزيده كما قال – تعالى-: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ][1].

وهذا يعني أن النظر العقلي يجب أن يكون مع الإيمان لكي يقويه، وهو التفكر والتأمل، والتدبر، والتعقل الذي أمرنا به الشرع كما جاء ذلك في قوله – تعالى-: [أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ][2].

يرى السلف أن هذا النوع من النظر العقلي في الآيات الكونية، وكذلك في آيات الكتاب الكريم عبادة لأنه من أعظم القربات إلى الله – تعالى – بل هو من أعظم أسباب الإيمان لأنه نظر في دليل صحيح، فهو حق، ويؤدي إلى الحق، الذي أمرنا الله – تعالى – بالإيمان به، أما أدلة المتكلمين فهي لا تؤدي إلا إلى الحيرة والشك والاضطراب، وكان ذلك باعترافات أصحاب هذه الطرق، والشاهد على ذلك قول " فخر الدين الرازي" في آخر حياته:

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلاً. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن [3].

وتلك الطرق قد نهى عنها الشرع وحذر منها وهنا يظهر الفرق بين النظر العقلي الشرعي والنظر الذي يوجبه المتكلمون، فالنظر الشرعي يكون مع الإيمان، وفي الأدلة الشرعية ويوصل الطالب مباشرة إلى المقاصد الإلهية.

يقول الشيخ " ابن تيمية"-رحمه الله-: (دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر: كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم، بل الكتاب

---

١ سورة الأنفال، الآية ٢.

٢ سورة الغاشية، الآية ١٧-٢٠.

٣ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٦٠.

والسنة دلا الخلق وهدياهم إلى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين، وهـؤلاء الغـالطون الـذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا إذا صنفوا في أصول الدين أحزابا) [1].

نعم لأن نظر المتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن سار على طريقتهم يكون قبل الإيمـان، وفي أدلـة بدعية من اختلاق أنفسهم و لم يأتي بها الشرع، ولهذا فإنها دائماً مقترنة بالباطل، بل تـؤدي بصـاحبها إلى ضلالات.

جاء في " مجموع الفتاوى" إن (المتفلسفة يقولون: القرآن جاء بـالطريق الخطابيـة والمقـدمات الإقناعية التي تقنع الجمهور. ويقولون: إن المتكلمين جاءوا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهـان اليقيني. وهم أبعد عن البرهان من الألهيات من المتكلمين) [2].

وهذا الذي أعرض عنه السلف وحذروا منه، وهي الطريقة البدعية، أي النظر المخـالف للـوحي وليس النظر الشرعي الذي حث عليه الشرع وقد حملوه إلينا بكل أمانة وصدق. ولهذا يجب أن يؤخذ النظر العقلي من القرآن لأنه (وبإجماع علماء الإسلام من جميع الطوائف على أن القرآن يفيد ما ادعيـت مـن معرفة أدلة التوحيد غير ظن ولا تقليد، وكما أن المتكلم ينظر في كتب شيوخه ليتعلم منها الأدلة من غـير تقليد غيره، فكذلك من نظر في القرآن يتعلم منه الأدلة من غير تقليد بل القرآن – العظيم- هو الذي منـه تعلم المتكلمون النظر، لكنهم غالوا في النظر) [3].

إن العقل لا يهتدي إلا بالشرع ولا يمكن أن يخالفه (بل هما متلازمان في الصحة، وهذا القـدر لا يمكن مؤمن بالله ورسوله أن ينازع فيه، بل لا ينازع مؤمن بالله ورسوله أن العقل لا يناقض في نفس الأمر)[4] لهذا يجب أن يكون القرآن هو المصدر الذي يستقي منه العقل ويعمل تحت ضوءه.

وهكذا فقد كان السلف الصالح – رضوان الله عليهم- لا يأخذون علمهم ومعارفهم وأدلتـهم إلا من مصادرها الشرعية، وقد هداهم الله – تعالى - إليها وشرح صدرهم لها لأنهم رأوا أن في علم الكتـاب والسنة غناءً لهم فاكتفوا بذلك وجعلوا العقل تابعاً وخادماً لها.

---

١ مجموع الفتاوى، ج١٩، ص١٦٠.

٢ ج١٩، ص١٦٣.

٣ ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ابن الوزير، ص١٥.

٤ درء تعارض العقل والنقل-، ج٥، ص ٢٨٦.

المطلب الثاني: موقف المتكلمين من العقل:

لقد اعتمد المتكلمون[1] العقل وقدموه على النقل (في تحديد منهجهم الذي سيسيرون عليه في نظريتهم في المعرفة، فلم يكن اختياراً عشوائياً وليد صدفة، ولكنه كان نسقاً أوله مرتبط بآخره فمن أي نقطة تبدأ سنعود للعقل الذي هو البداية الحقيقية) [2] ولهذا فقد حصر المتكلمون الأدلة النقلية في جانب السمعيات ومنعوا أن تكون العقليات معلومة بالنقل، والسبب الذي أوقعهم في ذلك هو نظرتهم إليها على أنها أدلة سمعية وتتوقف دلالتها على العلم بصدق المخبر بها، ومن أقوالهم الشاهدة بذلك نأخذ قول " القاضي عبد الجبار" المعتزلي: (الدليل إما عقلي بجميع مقدماته، أو نقلي بجميعها.... والأول العقلي والثاني لا يتصور، إذا صدق المخبر لابد منه وأنه لا يثبت إلا بالعقل)[3].

لقد أفرط هؤلاء في النظر العقلي حتى وصل الأمر ببعضهم إلى (توقيف صحة الإيمان أو كماله الواجب على تحصيل النظر العقلي، على اختلاف بينهم في القدر المصحح أو المكمل منه للإيمان، وفي تكفير المقلد التارك للنظر، أو الاكتفاء بتفسيقه، تبعاً لاعتبار النظر شطراً أو شرطاً للإيمان)[4].

لقد غفل هؤلاء عن أن الكتاب والسنة كما جاءا بالدلالة السمعية المتوقف في العلم بصحتها على العلم بصدق المخبر بها، كذلك قد جاءا بالدلائل العقلية اليقينية على سائر الأصول الاعتقادية الشرعية التي يمكن أن تعلم بالعقل، لقد أهملوا هذا النوع المهم من دلائل الكتاب والسنة الجامع بين وصفي العقل والنقل وقد يوجد في كلامهم استشهاد ببعض الآيات المتضمنة دلالات عقلية، إلا أنهم يفعلون ذلك للإستئناس والاعتضاد لا الاستغناء والاعتماد، إنهم يبتدعون أدلتهم من عند أنفسهم ثم يبحثون بعد ذلك في النصوص النقلية لعلهم يجدون ما عساه أن يكون محتمل الدلالة على ما ابتدعوا، والغالب أنهم يتعسفون في فهم النصوص، ويشطحون في تفسيرها لتوافق ما ابتدعوا، حتى لو كان ذلك مخالفاً لما تقرر في النقل من مسائل الاعتقاد.

يقول الشيخ " ابن تيمية"-رحمه الله-: (فالأدلة السمعية لم يردَّها من ردَّها لضعف فيها وفي مقدمتها، ولكن لاعتقاده أنها تخالف العقل، بل كثير من الأدلة السمعية التي يردَّونها تكون أقوى بكثير من

---

١ هم أهل الكلام الذين اعتمدوا على العقليات في تقرير العقيدة كالكلابية والأشاعرة والماتريرية والجهمية والمعتزلة.

٢ الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة، مهدي حسن أبو سعده، ص ٧٧.

٣ نقلاً من المواقف في علم الكلام، الايجي، ص٣٩.

٤ انظر شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص ٦٧، وأصول الدين، البغدادي، ص ٢٥٤، والمواقف، الايجي، ص ٢٨، ومخطوط شرح الجوهرة، ص ٣٤، وشرح أم البراهين، محمد السنوسي، مع حاشية الدسوقي، ص ٦١-٦٢.

الأدلة السمعية التي يقبلونها. وذلك لأن تلك لم يقبلوها لكون السمع جاء بها، لكن لاعتقادهم أن العقل دلّ عليها، والسمع جعلوه عاضداً للعقل، وحجة على من ينازعهم من المصدقين بالسمع، لم يكن هو عمدتهم ولا أصل علمهم، كما صرح بذلك أئمة هؤلاء المعارضين لكتاب الله وسنة رسوله بآرائهم)[1].

لقد ابتدع المتكلمون مسائل وأصول ما أنزل الله بها من سلطان، ثم ابتدعوا لها دلائل يلزم من الأخذ بها رد كثير مما ثبت في النقل (ولهذا كان يقال في أصولهم " ترتيب الأصول في تكذيب الرسول" ويقال أيضاً هي " ترتيب الأصول في مخالفة الرسول والمعقول". جعلوها أصولاً للعلم بالخالق، وهي أصول تناقض العلم به، فلا يتم العلم بالخالق إلا مع اعتقاد نقيضها. وفرق بين الأصل والدليل المستلزم للعلم بالرب وبين المناقض المعارض للعلم بالرب)[2].

ولذلك فإن أصولهم لا تستحق وصفها بأنها عقليات، كما يزعمون بل العقل يقول ببطلانها لمخالفتها الحق.

جاء في " درء تعارض العقل والنقل" (إن من عارض آيات الله بمعقوله، فإنه لا علم عنده، إذ ذلك المعارض، وإن سماه معقولاً، فإنه جهل وضلال، فليس بعلم ولا عقل ولا هدى، إذ لا إيمان عنده ليكون مهتدياً، فإن المهتدين الذين على هدى من ربهم هم مؤمنون بما جاء به الرسول، ولا كتاب منير، فإن الكتاب المنير لا يناقض كتاب الله)[3]، ولكن هؤلاء جاؤا بطرق باطلة فيها إفساد للدين وللعقول وللفطرة السليمة، وجعلوا لأنفسهم أصولاً، وعندما وجدوا أنها تتناقض مع ما جاء به الرسول – عليه الصلاة والسلام – قدموها على النقل (ثم تارة يقولون: الرسول جاء بالتخييل، وتارة يقولون: جاء بالتأويل، وتارة يقولون: جاء بالتجهيل)[4].

لقد أعرض هؤلاء عن طريقة القرآن إلى طرقهم البدعية الضالة وذلك لاعتقادهم أن ما جاءت به الشريعة من دلائل الأصول إنما خطاب للجمهور فجاء خالياً من البرهان اليقيني.

---

١ درء تعارض العقل والنقل، ج١، ص ١٧٥.

٢ مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٤٤٣.

٣ الشيخ ابن تيمية، ج٥، ص٢٦٣.

٤ مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٤٤٠.

إن الحكم على النقل بهذه الصورة الغير عادلة لا يصدر إلا عن جاهل بالشـــريعة ومـــا تضـــمنته نصوصها من أنواع الدلائل. أو أنه مكذب ومعاند يعرف الحق ولا يتبعه لعلة أو مرض في نفوس هـــؤلاء، وإلا فإنهم قد وصلوا إلى قدر كبير من العلم والفهم للقرآن وتفسيره.

ويكشف القرآن عن باطن هؤلاء المعرضين عن الحق وغيرهم ممن كانوا على شاكلتهم وساروا على طريقتهم فيقول - تبارك وتعالى-: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُـــدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ][1].

وقال أيضاً: (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ][2].

إن اغترار هؤلاء بعقولهم ، واعتدادهم بآرائهم هو الذي أوقعهم في هذا الانحراف وكان الســـبب الذي حال بينهم وبين انتفاعهم بما جاء به القرآن الكريم إن الشيطان وسوس لهم وزين لهم ســـوء أعمـــالهم فأساؤوا الظن بكتاب الله – تعالى- وجعلوه غير كاف في معرفة الأصول الإيمانية، وأن المعول عليه في معرفة ذلك هي عقولهم وما أنتجته من طرق بدعية مخالفة لصريح القرآن.

وفي هذا يقول الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله -: (إن جهل هؤلاء بمعاني الأدلة البرهانية التي دل عليها القرآن. كجهلهم بحقائق ما أخبر به القرآن، بل جهلهم بحقائق ما دل عليه الشرع من الدلائل العقلية والمطالب الخبرية، أعظم من جهلهم بما سلكوه من الطرق البدعية التي سموها عقلية)[3]، وجعلوهـــا أصـــولاً وساروا عليها كما جرت به عادتهم حتى وقعوا في ذلك الإنحراف (لقد أخطأ أهل البدع فيما صاروا إليـــه من مخالفتهم وخروجهم عن الحق الذي كانوا عليه قبل هذه البدع معهـــم، ومفارقتـــهم بـــذلك الأدلـــة الشرعية)[4]. وذلك لكونهم اعتمدوا العقل بل (جعلوه أصل علمهم ويقررونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له، والمعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها)[5].

---

١ سورة غافر، الآية ٥٦.

٢ سورة الزخرف، الآية ٣٦-٣٧.

٣ درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص ٣٦١.

٤ رسالة إلى أهل الثغر، أبي الحسن الأشعري، ص١٣٤.

٥ مجموع الفتاوى،ابن تيمية ،ج٣، ص ٣٣٨.

و لم يقف أهل الكلام عند ذلك بل نجدهم يتطاولون على أهل السنة والحديث ويتهمونهم بالجمود وقلة العقل، ويصفونهم بالتجسيم والتشبيه لأنهم رفضوا تقديم العقل على الشرع كما فعل هؤلاء، ولكي يبرروا تماديهم وإفراطهم في العقليات وبعدهم ومخالفتهم لمنهجية السلف إنهم يحتجون بأن النظر العقلي الكلامي أداة لكشف شبهات الملاحدة والزنادقة، وأصحاب الملل المختلفة والرد عليهم، وكل ذلك لا يمكن أن يأتي به الاقتصار على القرآن وحده.

لقد غالى أهل الكلام في العقليات وأفرطوا في استقلالهم بها عن الوحي الإلهي، ولهذا فقد أجمع أئمة السلف على ذمهم لهذه الطريقة المجانبة للحق والصواب.

ولكن ومع ذلك لا ننكر إن بعضاً من أئمتهم قد رجع إلى التسليم بنصوص الوحي، عندما وجدوا أن الأمر أخذ يشوش على العامة مفاهيمهم ومعتقداتهم، ومن هؤلاء إمام المتكلمين "أبو الحسن الأشعري" والذي كان من أشدهم إفراطاً في العقليات .

ومما لاشك فيه أن هذه الصورة تبين المستوى الذي وصل إليه أهل الكلام من الانحراف لمخالفتهم للكتاب والسنة ولعقيدة أهل السنة والجماعة وسلف الأمة عندما جعلوا الدلائل البدعية أصول الدين وأوجبوا النظر فيها وهذا هو سبب ما لحق بهم من ذم أئمة السلف لهم في عقلياتهم الباطلة المناقضة لصريح العقل وصحيح النقل، ولبطلان المعاني التي عبروا عنها بمصطلحات حادثة لم تأت بها السنة، و لم يقل بها أحد من السلف – رضوان الله عليهم – وإنما تدل على مفاهيم مغلوطة، وتصورات خاطئة وباطلة، وينبه الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – على ذلك تحذيراً منها فيقول: (السلف والأئمة لم يكرهوا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ " الجوهر" و " العرض" و" الجسم" وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم من الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه لاشتمال هذه الألفاظ على معاني مجمله في النفي والإثبات) [1].

وذلك يعني أن المذموم عند أهل السنة النظر العقلي البدعي أما النظر العقلي الشرعي فإن الأمر به جاء صريحاً في الكتاب والسنة ولهذا يقول الشيخ "ابن تيمية" – رحمه الله – (دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر: كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم إلى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين) [2].

---

١ المرجع السابق، ص٣٠٧.

٢ المرجع السابق، ج١٩، ص١٦٠.

أي أن أهل السنة لا يطعنون في الأدلة العقلية، ولا يقفون ضدها، ولا يرفضونها إلا إذا كانت غير شرعية، وهذا ما جاءت به الطرق الكلامية.

المطلب الثالث: موقف الفلاسفة من العقل

الفلاسفة: (اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء و لم يذهب إلا إلى مايقتضيه العقل في زعمه)[1].

جاء في " التدمرية" أنهم (يقولون: إن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات، وأباحوا له المحظورات)[2].

ولهذا يقولون أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – خاطب الناس بما يصلحهم وينفعهم من معاشهم، من اعتقاد توحيد الربوبية، والبعث والجزاء، وغيرها من أصول الاعتقاد، من غير اعتقاد أو معرفة منه بحقيقة ما جاءهم به، وإنما خيّله لهم، وأوهمهم بذلك، ويعتقد هؤلاء أن ذلك من باب الكذب للمصلحة وهو مطلوب ومحمود ، ولهذا يرون أنه لا يصح الاعتماد على أخبار الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وهذا هو السبب الذي جعلهم لا يعتنون بتفسير القرآن والحديث، وإن اشتغلوا في ذلك فإنه لحاجة الجمهور.

ذكر ذلك الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – في الفتاوى فقال: (فالفلاسفة ومن وافقهم أحياناً يقولون: خاطب الجمهور بالتخييل – لم يقصد إخبارهم بالأمر على ما هو عليه، بل أخبرهم بخلاف ما الأمر عليه ليتخيلوا ما ينفعهم... ومنهم من يقول: لم يعرف الحق، بل تخيل وخيل)[3] .

ولقد كان ذلك هو السبب الذي دعاهم إلى القول بأن المعقول يناقض ما أخبر به الرسول، ولذلك اعتمدوا عقولهم وقالوا بالتأويل.

لقد غالوا في العقل وخاضوا فيه، معتمدين في ذلك على ما أخذوه من الفلسفة اليونانية، فنقلوا تعريفات وتقسيمات اليونان للعقل إلى العلوم الإسلامية، واختلفوا في تقسيم العقول، وعددها ووظيفة كل عقل.

---

١ موسوعة الفلسفة، الدكتور عبد الرحمن بدوي، ج١، ص ١٣١ ومبادئ الفلسفة، أ.س رابوبرت، ص ٦-٧.

٢ ابن تيمية، ص٤٨.

٣ مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٤٤٠.

لقد سار هؤلاء الفلاسفة مع المفاهيم اليونانية المختلطة بالوثنيات القديمة، وتقديس العقل، ولهذا جاءت تعريفاتهم بعيدة عن المعنى الإسلامي الصحيح، لقد جعلوا العقل المصدر الأول للحكم على كل شيء وذلك عندما قالوا:

أولاً: أن الأصل الذي يصدر عنه العقل والوحي واحد هو الله – تعالى- فلا اختلاف ولا تضاد في ذلك.

ثانياً: أن مصدر المعارف والحقائق والعلوم في الفلسفة هو عقل الفيلسوف، بينما في الدين هو مخيلة النبي.

ثالثاً: أن ما يكون عن طريق التخيل لا يكون إلا على شكل رموز للحقيقة والتي لا يدركها ويفهمها إلا الفلاسفة، بينما تلك الرموز بمعانيها الظاهرة ما هي إلا لعامة الناس المحتاجين إليها ولكنها لا تعطي الحقيقة.

جاء في كتاب الشفا " لابن سينا " قوله: أن خطاب الرسول (يشتمل على رموز وإشارات تستدعي المستعدين بالجلية للنظر إلى البحث الحكمي)[1].

وفي ذلك تكذيب وتجهيل للرسول – عليه السلام -، وقد ذكر ذلك الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – وبصورٍ مختلفة في بعض من مؤلفاته فقال أن هؤلاء(لا يكذب الرسل تكذيباً صريحاً، ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة، بل يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول: إن غيرهم أعلم منهم: أو أنهم لم يبينوا الحق أو لبسوه: أو أن النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس ما يراه النائم)[2].

ويقول: أن هؤلاء يقولون عن أنفسهم: (أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين)[3].

---

١ ص ٢٢٧.

٢ مجموع الفتاوى، ج١٩، ص ١٨٦-١٨٧.

٣ الفتوى الحموية الكبرى، ص ٢٧٨.

وبناءً على تلك التصورات المغلوطة يرون أن الفيلسوف ليس بحاجة إلى النبي لأنه بعقله يصل إلى معرفة الحقيقة بينما النبي يتخيلها، فيكون النبي – حسب تصورهم – هو الذي يحتاج إلى الفيلسوف لكي يعينه على معرفة بعض الحقائق وتفسيرها.

يقول " ابن سينا " (أن المعاد الروحاني وأحواله هو مما يتوصل إليه بالبراهين العقلية والمقاييس، لأنه على نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة، فلنا في البراهين عليه سعة)[1].

ويقول " ابن خلدون "(والفارابي وابن سينا أن من حصل له إدراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظه من هذه السعادة)[2].

إن هذا التقديس للعقل بهذه الصورة يشير إلى مدى التخبط الفكري الذي يعيشه هؤلاء، لقد تجرؤوا على الغيبيات والتي لا مجال للعقل فيها إلا عن طريق الوحي فقاموا بتأويلها وأنزلقوا في متاهات وضلالات، وبقيت أدلتهم مجرد تصورات بعيدة عن عالم الواقع و لم يتحقق لهم بها إلا الحسرة والندامة كما جاء ذلك في أقوالهم[3]، وذلك بسبب خروجهم عن الحق. وقد ذكر ذلك الإمام " أبو الحسن الأشعري" – رحمه الله تعالى – بقوله: (وخطأ أهل البدع فيما صاروا إليه من مخالفتهم وخروجهم عن الحق الذي كانوا عليه قبل هذه البدع معهم، ومفارقتهم بذلك الأدلة الشرعية، وما أتى به الرسول عليه السلام منها)[4].

لقد (أتى الفلاسفة إلى تلك الأصول فتلقفوها – أو تلقفوا منها- فأرادوا أن يخرجوه على مقتضى عقولهم، وجعلوا ذلك عقلياً لا شرعياً) [5].

إنهم اعتمدوا العقل، وأعرضوا عن النقل ودلالاته، وأصلوا أصولاً من عند أنفسهم تناقض الحق لأنها تحريف لما جاء في كتاب الله – تعالى – ناتجة عن تخييلات وأوهام بعيدة عن الصحة والصواب، وعندما وجد هؤلاء ذلك التناقض بينها وبين الوحي قدموها على النقل وذلك هو الإنحراف والضلال المبين الذي وقعوا فيه بسبب تقديسهم للعقل، وتجاهلهم لأدلة النقل العقلية، واتهامهم لها بأنها ظنية لا تفيد اليقين و لم يكن ذلك منهم إلا انصياعاً لأهوائهم، وتعصباً لآرائهم، فجانبوا بذلك الحق والحقيقة، ووقعوا في تلك الظلمات بين الشك والحيرة.

---

١ الشفا، ص ٢٣٤ انظر النجاة، ص ٢٣٩.

٢ تاريخ ابن خلدون، ج١، الباب السادس، الفصل الحادي والثلاثون، ص ٣٨.

٣ مر البعض منها في معرض الكلام سابقاً.

٤ رسالة إلى أهل الثغر، ص ١٣٤.

٥ الاعتصام، الشاطبي، ج١، ص٦٣.

المطلب الرابع: موقف الصوفية من العقل

إن هذه الطائفة[1] يعطلون العقل ويحتقرونه ، بل ويذمونه ويعيبونه، وانصرفوا عنه عندما رأوا كثرة الجدال والمناظرة بالمتناقضات على أشدها بين أهل الكلام، ويعتقدون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تنال إلا بعدمه، ولهذا يرون أن البله الذين لا عقل لهم من الأولياء، وفضلوهم على غيرهم، ولهم في ذلك أحاديث ضعيفة، لا أرى ضرورة لذكرها لضعفها.

كما وأنهم (يمدحون السكر والجنون والوله، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز ، كما ويصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها) [2].

يقول الغزالي: (والصوفية يذمون العقل والمعقول ويقصدون بذلك المناظرة والمجادلة باعتبارها من أمور الكلام) [3].

لقد خرج هؤلاء عن المنطق السليم وأصبحوا يعيشون في أوهام وخيالات بعيدة عن الحقيقة والواقع، إذ كيف يعطلون أعظم ما يتميز به الإنسان عن بقية الحيوانات والمخلوقات الأخرى.

لقد نبذ هؤلاء العقل نبذاً تاماً لأنه – حسب تصورهم – غير قادر على فهم الوجود والإحاطة به.

ولهذا يقول " ابن عربي " في معنى قوله – تعالى-: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [4]. أي (لتقلبه في أنواع الصور والصفات و لم يقل لمن كان له عقل، فإن العقل قيد الأمر في نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر في نفس الأمر) [5].

---

١ الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف- على القول الصحيح – عُرفوا بادئ الأمر بالعبادة والزهد، و لم يكن هذا الاسم معروفاً في القرون الثلاثة الأولى، وانتهى المطاف ببعض فرقهم إلى الغلو والتطرف، حتى خرجوا عن دائرة الإسلام والقول بمذهب الباطنية: إن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل. من أقطاب غلاتهم: ابن عربي، والحلاج وابن سبعين وغيرهم (الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ص٢٧٩).

٢ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٣، ص ٣٣٨-٣٣٩ وانظر نشأة الفكر الفلسفي، سامي النشار، ج٣، ص٢٢٥.

٣ احياء علوم الدين، ج١، ص٧٧.

٤ سورة ق، الآية ٣٧.

٥ فصوص الحكم، ص ١٢٢.

جاء في " تاريخ ابن خلدون " قوله: (والمتصوفة كثيراً ما يعنون بحصول هذا الإدراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة إماتة القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ)[1].

١ ج١، الباب السادس، الفصل الحادي والثلاثون، ص ٣٨.

المبحث الثالث

دور العقل ووظيفته في الإسلام

يعتمد الإسلام على الفطرة التي فطر الله – تعالى – الناس عليها والتي هي أساس الدين، لأنها تلجئ صاحبها إلى البحث عن الحق والالتزام به، كما وأنها هي الأصل والأساس للأدلة العقلية، لأن المعرفة الفطرية تتناول أمرين هما:

١. العلوم الأولية البديهية المغروزة في كل نفس بشرية، والتي إليها مرجع كل استدلال، مثال ذلك: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، وأن الحادث لابد له من محدث، وغيرها من العلوم التي لا تقبل التشكيك.

٢. تلك القوة الكامنة في النفس، التي تقتضي معرفة الحق وإرادته وطلبه، وإيثاره على الباطل، وهي معلومة عند كل إنسان سليم الفطرة، ومن أعظم ما تعرفه وتطلبه أن لها خالقاً يستحق المحبة والشكر وعلى ذلك كله يقوم الدليل العقلي، لأنه مهما كانت قوته وتأثيره في النفس فإن ذلك لا يحصل إلا بما في النفس من فطرة على قبول الحق.

ولكن في حال فساد الفطرة بعوارض البيئة ومؤثراتها والتي يتغير بها اتجاه الإنسان ومسلكه كما أشار إلى ذلك الرسول – عليه الصلاة والسلام – بقوله: [كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...الخ][1].

هنا يأتي دور الأدلة العقلية التي جاء بها الوحي لإيقاظها وتبيينها، وإزالة ما علق بها من الشوائب وإعادتها إلى الحق.

---

١ رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٣، ص ٢٥٤-١٣٨٣ ورواه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ج١٦- ص١٥٧.

يقول " أبو المظفر السمعاني"[1]: (وعلى أننا لا ننكر النظر بقدر ما ورد به الكتاب والسنة لينال المؤمن بذلك زيادة اليقين وثلج الصدر وسكون القلب) [2].

أما شيخ الإسلام "ابن تيمية" – رحمه الله- فإنه يضيف إلى ذلك بقوله: (المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال)[3].

ويؤكد ذلك فيقول: (بوجوب النظر لإزالة ما فسدت به الفطرة)[4].

بمعنى أن النظر في الآيات القرآنية والكونية، تحصل به فوائد عظيمة للمتأمل والمتدبر فيها، وفي ذلك الشفاء والدواء لمن فسدت فطرته، ووقع في ما يخالف الفطر السليمة، وكذلك يزيد في إيمان العبد الذي سلمت فطرته وسريرته.

كما قال – تعالى -: [وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا][5].

ولهذا نجد أن غالب ما ورد في القرآن من دلائل على المسائل العقائدية، جاء على صورة التنبيه والتذكير، وإثارة الفطر والعقول وإيقاظها لما هو مطلوب.

وهذا يعني أن للعقل دوراً في معرفة العلوم وتحصيلها.

يقول الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – (العقل شرط معرفة العلوم...) [6].

يفهم من ذلك أن للعقل مجاله الذي يعمل فيه، وهو عالم الحس والشهادة، وتعينه في ذلك الحواس، فتمده بالمحوسات والمشاهدات والتي يصل العقل من خلال معرفته بها إلى اكتشاف حقائقها، وخصائصها فيسخرها لصالحه، وذلك لتعمير هذا الكوكب، يقول " عبد المجيد النجار": (فالعقل ليس وسيلة للكشف المباشر على الحق، بل يسلك إلى الحق طريقاً صارماً عبر ما يسمى بالنظر أو الفكر. وهذا الطريق يتصف

---

١ هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر السمعاني التميمي، الفقيه الإمام المشهور، له عدة مؤلفات في الحديث والفقه وأصوله توفي عام ٤٨٩هـ، انظر الأنساب للسمعاني، ج٣،ص٢٩٨- ٢٩٩.

٢ نقلاً من صون المنطق، السيوطي، ص ١٧١.

٣ درء تعارض العقل والنقل، ص٣٠٣- ٣٠٤.

٤ المرجع السابق، ج٨، ص٣٥٨.

٥ سورة المدثر، الآية٣١.

٦ لقد مر معنا هذا النص كاملاً في الصفحات السابقة.

بالمرحلية والتدرج والترابط، فهو طريق المقايسة والموازنة، والانتقال بين المقدمات للوصول إلى النتائج)[1] . ولهذا جاءت الآيات القرآنية تحث العقل على التأمل، والتدبر، والتفكر في جزئيات هذا العالم، وظواهره الكونية، بل نجد بعض السور القرآنية تحمل أسماء بعض هذه العوالم الكونية كالإنسان، والشمس، والقمر، والكواكب، والنجوم، والجبال ، والأنعام، وغيرها والتي هي آثار تدلل على موجدها وخالقها فيهتدي العقل بها وبما أودعه الله – تعالى- فيه من العلوم الأولية إلى معرفته- عز وجل- والإيمان به، ولكن معرفته تكون إجمالية أما التفصيلية فيأتي بها الوحي، ولهذا فإن دور العقل هنا إتباع الوحي، والتسليم له، والتلقي منه.

يقول الإمام " أبو مظفر السمعاني" في كتابه " الانتصار لأهل الحديث" : (إن الله – تعالى- أسس دينه وبناه على الاتباع، وجعل إدراكه وقبوله بالعقل، فمن الدين معقول وغير معقول، والاتباع في جميعه واجب)[2].

ويقول أيضاً: (أهل السنة قالوا: إن الله لا يعرف بالعقل ولا يعرف مع عدم العقل، ومعنى هذا أن الله – تعالى – هو الذي يعرف العبد ذاته، فيعرف الله بالله لا بغيره لقوله – تعالى-: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ][3] ولم يقل ولكن العقل)[4].

ويذكر ذلك الدكتور" راجح عبد الحميد الكردي" وبصورة أخرى فيقول: (أما الأخلاق والتشريع فموقف العقل السليم منه أيضاً التسليم للنص واعتبار ما حسنه الشرع حسناً وما قبحه قبيحاً واعتبار الأمر عبادة باعتبار الشرع له. إذ العقل لا يكلف ولا يأمر ولا ينهى. وإن كان مفطور على فهم الخير وحبه، إذا وجّه وذكّر، وفيه أيضاً القدرة على فهم الشر وعواقبه. ولكن العقل قد يتأثر بعوامل البيئة والتربية فتختلط عنده المفاهيم وتنقلب به الموازين، فهو بحاجة إلى الشرع باستمرار)[5].

إذاً المطلوب في الأمور الغيبية التي جاءت عن طريق الوحي أن يقبلها العقل ويسلم بها وأن لا يخوض في معرفة كنهها وكيفيتها لأن ذلك فوق طاقته وقدرته المحدودة له بحدود هذا العالم المشاهد، لأن (عالم الغيب وعلى رأسه وجود الله – سبحانه- قضية تقع في مجال العقل من حيث مبدأ التسليم بوجوده فقط، أما تفصيل هذا العالم فليس في قدرة العقل ومجاله، لأن العقل بما أوتي من النظر ومن القوانين التي تمكنه

---

١ خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص٦٠.

٢ نقلاً من صون المنطق، السيوطي، ص١٧٩.

٣ سورة القصص، الآية ٥٦.

٤ نقلاً من صون المنطق، السيوطي، ص١٧٩.

٥ نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص٦٥٠.

من البحث إنما يعمل في عالم الشهادة)[1].ولذلك فإن الطريق الأسلم للعقل هو التسليم والإتباع لما جاء به الرسول الكريم يؤكد ذلك ما ورد في " شرح العقيدة الطحاوية " (لا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام)[2].

وهذا لا يعني عزل العقل أو الحجر عليه بل يجب أن لا يعطى أكبر من قدره، وأن لا يجاوز حدوده، وأن يمنع من التسلط على الشرع، أو أن يحكم فيه، فإن في ذلك فساداً وتضليلاً له، لأن العقول تقر وتسلم بأن بينها تفاوتاً واختلافاً في قوتها وقدرتها، وينشأ عن ذلك الاختلاف في الآراء والأقوال بل إن العقل نفسه يغير في حكمه بحسب ما يعرض له من العلوم والمعارف والظروف، فكيف يكون هذا العقل البشري هو المرجع ؟.

جاء في " الطحاوية " أيضاً (إذ العقول متفاوته، والشبهات كثيرة، والشياطين لاتزال تلقي الوسواس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به)[3] وما دام الأمر كذلك فإنه حتماً سيؤدي إلى الفوضى والاضطراب والواقع البشري الذي يعج بالطوائف والفرق والخلافات والنزاعات يشهد بهذا، وللسلامة من كل ذلك، والخروج بالمجتمعات البشرية إلى الأمن والأمان، والاستقرار، والخلاص من كل ما تعاني منه لابد من التسليم للشرع، وأن يكون هو الأصل والعقل تابع له ومتلق منه، لاسيما وأن المسائل الغيبية لا مجال للعقل فيها لأنها فوق تصوراتنا، ومدركاتنا العقلية.

بمعنى أن للعقل طاقته وقدرته المحدودة والتي لا يستطيع أن يتجاوزها، كما وأنه لا يستطيع أن يخضع كل المعارف والعلوم وحقائقها لقدرته أو أن يكون له دور فيها على سواء ، فالعلوم ثلاثة أقسام وهي كالتالي: (

١. قسم ضروري لا يمكن التشكيك فيه، كعلم الإنسان بوجوده، وعلمه بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان.

٢. قسم لا يعلمه ألبته إلا أن يُعلم به أو يُجعل له طريق إلى العلم به، وذلك كعلم المغيبات عنه.

---

١ المرجع السابق، ص٦٤٩.

٢ الألباني، ص٢١٩.

٣ المرجع السابق، ص٢٢٠.

٣. وقسم نظري، يمكن العلم به، ويمكن أن لا يعلم به – وهي النظريات– ، وذلك الممكنات التي تعلم بواسطة لا بأنفسها، إلا أن يعلم بها أخباراً)[١].

وهنا أكرر لأهمية الأمر وخطورته فأقول: يجب أن لا يفهم من ذلك التقليل من شأن العقل بل يجب التأكيد على أن له دوره ووظيفته والتي لها أهميتها الكبرى التي أشار إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة، يدعو فيها إلى التعقل، والتذكر، والفقه، والنظر، والتدبر، كما جاء ذلك في قوله – تعالى -: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى] [٢].

وقال – تعالى-: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ][٣].

وقال- تعالى-: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ][٤].

وقال – تعالى-: (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا] [٥].

من خلال تلك الآيات يمكننا القول أن القرآن – الكريم – وجه العقل إلى ثلاث وظائف كبرى وهي: (

الأولى: الكشف عن السنن التي تسير بها المخلوقات من جماد ونبات وحيوان وإنسان، قصد تسخيرها والانتفاع بها.

الثانية: فهم معاني النصوص الشرعية، وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تضمنتها أحكامها، وإعمال الاجتهاد في هذه النصوص لاستنباط الأحكام الخاصة بمنطقة العفو التي تركها الشرع، وإعمال العقل في الترجيح عند ورود الأدلة المحتملة.

---

١ الاعتصام، الشاطبي، ج٢، ص٨٣٢- ٨٣٣.

٢ سورة الروم، الآية ٨.

٣ سورة التوبة، الآية ١٢٢.

٤ سورة آل عمران، الآية ١٣٧.

٥ سورة النساء،الآية ٨٢.

الثالثة: الاعتبار من الحكم والأسرار الكامنة في الكون والشرع، وإدراك الغايات البعيدة لتلك الحكم والأسرار والربط بين ذلك كله وبين وجود الإنسان في الأرض ومهمته فيها)[1].

لقد جعل القرآن الكون ميداناً فسيحاً لعمل العقل، وسخره له ليبحث وينظر فيه النظر الهادف إلى الإيمان بالحقائق الكبرى التي جاء بها الوحي، لأن الكون وكل ما فيه ما هو إلا أثر شاهد على وجود ما وراءه من الغيبيان، ولذلك فقد وضع القرآن منهجية واضحة المعالم، وعلى أسس قوية، الأخذ بها يؤدي إلى الإيمان بهذه اليقينيات، وشرح ذلك وبيانه في المطالب التالية:

المطلب الأول: دور العقل في أدلة توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات

لقد جاء القرآن بعقيدة ليس فيها إلا ما تفهمه العقول وتجيزه، إذ كيف يمدح الله – تعالى- العقل ويجعله مناط التكليف، ثم يأتيه بما لا يطاق، بل وكما لم يكلف الجسم بما لا يطيق كذلك لم يكلف العقل في الاعتقاد بما لا يطيق والقرآن لم يأمر الإنسان أن يترك عقله ليؤمن بها بل إن الله – عز وجل – خالق العقل ومكلفه وليس غريباً أن يتناسب الخلق والأمر.

والأدلة العقلية التي وردت في القرآن في الدلالة على المسائل العقائدية شاهدة بذلك، وهي كالتالي:

أولاً: أدلة توحيد الربوبية

توحيد الربوبية أو الملك: هو (الإقرار بأن الله – تعالى- رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر، وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية، لأن الله – تعالى- حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده)[2].

قال – تعالى- : [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ][3].

---

١ دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ص١٤٢.

٢ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ص١٨ وانظر تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن ناصر السعدي، ص ٣٩ وشرح الثلاثة الأصول، محمد العثيمين، ص٢٨.

٣ سورة الزخرف، الآية ٨٧.

وقال – تعالى – في شأن صاحب الجنتين: [قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ٣٧ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا] [١].

وذكر – عز وجل- قول صاحب يس فقال – تعالى-: [وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي] [٢].

يقول "ابن القيم" – رحمه الله- : (أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفا لهم، ونبه على أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول، مستهجن تركها، قبيح الإخلال بها، فإن خلقه لعبده أصل إنعامه عليه ، ونعمه كلها، تابعة لإيجاده وخلقه) [٣].

هذه هي الطريقة القرآنية التي يخاطب بها العقل، ويستنطق بها الفطر السليمة للوصول بها إلى ما هو حق، وعدل، وصدق، وهي الطريقة المثلى التي كان عليها رسل الله – عليهم السلام – لأنهم أعلم الناس برسالته، وشرعه، ومنهجه، فهذا إبراهيم- عليه السلام- مع النمرود، عندما أراد أن يثبت له أن الرب الخالق الموجد والمحيي والمميت هو الله – تعالى- ولا رب ولا معبود سواه، فقال له كما جاء ذلك في قوله – تعالى-: [رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] [٤] وقال – تعالى-: [فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ] [٥].

وكذلك " موسى" – عليه السلام – في قصته مع " فرعون " عندما دعاه إلى الإيمان بالله – تعالى- فجاءت صورة ذلك في قوله – عز وجل-: [قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ٤٩ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] [٦].

وهذه صورة أخرى " لموسى" – عليه السلام – مع فرعون كما ورد ذلك في الآية الكريمة التي يقول فيها – تبارك وتعالى-: [قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ] [٧].

---

١ سورة الكهف، الآية ٣٧-٣٨.

٢ سورة يس، الآية ٢٢.

٣ الصواعق المرسلة، ج٢، ص٤٩٥-٤٩٦.

٤ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

٥ سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

٦ سورة طه، الآية ٤٩-٥٠.

٧ سورة الشعراء، الآية ٢٠.

لقد استدل بالمخلوقات وهدايتها على موجدها وخالقها، فالناظر المتأمل والمتدبر يدرك أن موجـــدا واحد وهو المستحق للعبادة.

يقول شيخ الإسلام " ابن تيمية" – رحمه الله-: (كل واحد من "الحدوث" و" الامكان" دليل على الافتقار إلى الصانع وإن كانا متلازمين... وكون " الممكن" و"المحدث" مفتقراً إلى الفاعل هو مـــن لـــوازم حقيقته، لا يحتاج أن يعلل بعلة جعلته مفتقراً ، بل الفقر لازم لذاته. فكل ما سوى الله فقير إليه دائمـــاً، لا يستغنى عنه طرفة عين. وهذا من معاني اسمه " الصمد". فـــ" الصمد". الذي يحتاج إليه كل شـــيء وهـــو مستغن عن كل شيء)[1].

نعم ان الكون جميعه آيات كونية تشير إليها الآيات القرآنية وفي ذلك كله دلالة عقلية ضرورية في الاستدلال على ربوبيته وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه.

يقول – عز وجل-: [مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ][2].

لقد اشتملت هذه الآية على أصرح الأدلة العقلية التي تنفي تعدد الآلهة وتثبت ربوبيته – عز وجل- لاتصافه بصفاتها فهو الخالق لهذا الكون، والقادر على تصريفه وتدبيره، وانتظام أمره على ما هو عليه وكـــل ذلك يؤكد وحدانيته وربوبيته، وينفي تعدد الآلهة[3][4]، بل الأمر له وحده –سبحانه وتعالى- وكل ماســـواه فهو باطل.

ثانياً: أدلة توحيد الألوهية

توحيد الألوهية هو: إفراد الله – تعالى- بالعبادة، وإخلاص الدين له وحده، فإن الإلهية نســـبة إلى الإله بمعنى المعبود.

وهذا النوع من التوحيد هو الغاية من بعثة الرسل عليهم السلام يقول شارح الطحاويـــة في بيـــان منـــزلته (اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله)[5].

---

١ الرد على المنطقيين، ص٣٤٦.

٢ سورة المؤمنون، الآية ٩١-٩٢.

٣ أن هذا المعنى أشارت إليه كتب التفسير ومنها، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٥٥٨.

٤ إن هذه الآية تدلل على توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية.

٥ انظر ابن المعز، ص٧٩.

ولقد وقع فيه النـــزاع بين الرسل – عليهم السلام- وبين أممهم.

(ويسمى هذا التوحيد بـــ:

١. توحيد الإلهية، لأنه مبني على إخلاص التأله ، وهو أشد المحبة لله وحده وذلـــك يســـتلزم إخلاص العبادة.

٢. وتوحيد العبادة لذلك.

٣. وتوحيد الإرادة، لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.

٤. وتوحيد القصد، لأنه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

٥. وتوحيد العمل، لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده)[١].

ولا تكاد تخلو كل سورة منه بل القرآن مليء بالأدلة اليقينية القاطعة والدالة على هذا النوع مـــن التوحيد.

يقول الشيخ " جمال الدين القاسمي": (والذين يظنون أن القرآن – الكريم – ليس فيـــه حجـــاج عقلي، لم يتدبروا أدلة القرآن، و لم يقفوا على معانيها وقفة المتفكر المتعمق ، أما من طالت صحبته لكتـــاب الله، ورزقه الله فهماً حسناً فيه، فإنه يجده مملوءاً من الحجج والبراهين)[٢].

ومن تلك البراهين والأدلة قوله – تعالى-: [قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ][٣].

وقوله – تعالى-: [وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ][٤].

إن هذه الآيات الكريمة تدلل على أن من ثبتت ربوبيته وأنه الخالق المنشئ من العدم فهـــو المعبـــود وحده المستحق للعبادة دون سواه، بل إن كل ما سواه مربوب ولا تصح عبوديته.

وقال – تعالى-:[إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ] [٥].

---

١ تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله، ص٢١-٢٢.

٢ دلائل التوحيد، ص١٤٤.

٣ سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

٤ سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

٥ سورة النمل، الآية٩١

ويقول – تعالى-:[أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ١٢٥ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ][1].

تؤكد هذه الآية كغيرها من الآيات الأخرى بالبرهان القاطع والحجة المؤكدة أنه: لا أحد يستحق العبادة إلا الله – عز وجل- وعبادة غيره باطل (إذ كيف تدعون صنماً اختلقتموه وعملتوه ربا (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ] أي أحسن من يقال له خالق)[2] أي خالقكم وآبائكم وليس من خالق لهذا الكون سواه.

كذلك ومن أعظم الدلالات على توحيد العبادة اتصافه – عز وجل- بالكمال المطلق، ومن كانت تلك صفاته فإن الفطرة والعقل شاهدان بأنه هو المستحق للألوهية ومن لم يبلغ هذا الكمال و لم يتصف به لزمه الاتصاف بضده، وهذا ينفي عنه صفة الربوبية، ومن كان كذلك لا يمكن أن يكون معبوداً.

يقول الشيخ "ابن تيمية" – رحمه الله- : (والله – سبحانه- لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد (الأصلين) اللذين بهما يتم التوحيد: وهما إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل، وبيان أنه المستحق للعبادة لا إله إلا هو رداً على المشركين والشرك في العالم أكثر من التعطيل)[3].

يقول-عز وجل-:﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4]

وإذا كان الله – تعالى- هو المتصف بصفات الكمال فيكون وحده – عز وجل- صاحب الحق في العبودية، وتسقط عبودية كل ما سواه.

ثالثاً: أدلة توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات هو: (إفراد الله – تعالى- بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم- وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف، ولا تمثيل) [5].

---

١ سورة الصافات، الآية ١٢٥-١٢٦.

٢ انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٥، ص١٠٤- ١٠٥ وتفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٠.

٣ مجموع الفتاوى، ج٦، ص٨٣.

٤ سورة غافر، الآية ٦٥.

٥ شرح الثلاثة الأصول، ابن عثيمين، ص٢٩.

إن ثبوت الكمال المطلق لله – تعالى- تقر به الفطر السليمة، والعقول الصريحة لأنه لا يمكن تصور الخالق – جلّ وعلا – إلا على وجه أن يكون فيه موصوفاً غاية في الكمال، فكماله ملازم لكونه الخالق، لذلك كان الغالب على أدلة كمال الرب في القرآن والسنة أن تكون سمعية.

وهذه المسألة لا خلاف عليها، وإنما كان الخلاف من جهة بيان صفات الكمال وتفصيلها، فالذين اعتمدوا على عقولهم واتبعوا أهوائهم، البعض منهم ذهب إلى التنزيه المفرط الذي أدى بهم إلى تعطيل الصفات، والبعض الآخر ذهب إلى الإثبات المفرط الذي انتهى بهم إلى التمثيل.

أما أهل السنة والجماعة فقد أخذوا بما جاء في الكتاب والسنة من حيث الإجمال في النفي والتنزيه، والتفصيل في الإثبات على أساس نفي المثيل ونفي إدراك كيفية الصفة، مع معرفة معنى الصفة.

وفيما يلي عرض لبعض الدلالات على صفات الكمال لله – تعالى- والتي أشار إليها القرآن، مع الاستدلال العقلي على تنزيهه- عز وجل- من العيوب:

أولاً: طريقة قياس الأولى

لقد استخدم القرآن طريقة قياس الأولى في إثبات الصفات، وهذا النوع من القياس هو الذي يجب سمعاً وعقلاً استعماله في حق الله – عز وجل- دون غيره من الأقيسة الأخرى، كقياس التمثيل الذي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا قياس الشمول الذي يدخل فيه أفراده تحت قضية كلية تستوي أفرادها، وذلك لأن الخالق – سبحانه – ليس كمثله شيء، وهو مفارق كل المفارقة في صفاته للمخلوق.

ذكر ذلك الشيخ " ابن تيمية "-رحمه الله- في مجموع الفتاوى فقال: (ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال – تعالى-: [وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ][1] مثل أن نعلم أن كل كمال ثبت للممكن، أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه: وهو ما كان كمال للموجود غير مستلزم للعدم فالواجب القديم أولى به. وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق- المربوب المعلول المدبر فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره – فهو أحق به منه. وأن كل نقص وعيب في نفسه- وهو ما تضمن سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والمحدثات والممكنات-

١ سورة النحل، الآية٦٠.

فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى. وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود، وأما الأمور العدمية فالممكن بها أحق ونحو ذلك)[1].

وقياس الأولى يدل على صفات الكمال لله – تعالى- وذلك من طريقين: طريق الترجيح والتفضيل وطريق دلالة الأثر على المؤثر، وأن معطى الكمال أحق به، وبيان ذلك كالتالي:

الأول: وهو أن كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به أن يكون ثابتاً له، متصفاً به لأنه – تعالى- هو الأكمل والأفضل وهذا ثابت في الفطرة ، ومعلوم ببداهة العقول، والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله – تعالى-: [لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][2].

ولهذا يقول الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله- (فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثابت للمخلوق فالخالق أحق به)[3] ويكون ذلك من وجهين:

أحدهما: (أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المحدث المربوب...) [4].

ويقول " ابن القيم" – رحمه الله- : (الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب – تعالى- هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى) [5].

الثاني: إثبات الصفات عن طريق دلالة الأثر على المؤثر: يعني أن معطي الكمال أحق بالاتصاف به من المعطى له وبما أن الله – تعالى- هو الذي وهب مخلوقاته صفة الكمال فهو أحق أن يكون متصفاً بها.

---

١ ج٣، ص٢٩٧.

٢ سورة النحل، الآية٦٠.

٣ شرح العقيدة الأصفهانية، ص٨٦.

٤ المرجع السابق.

٥ الصواعق المرسلة، ج٣، ص١٠٣١.

يقول الشيخ "ابن تيمية"-رحمه الله-: (إن كل كمال فيه (في المخلوق) فإنما استفاده من ربه وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطي)[1].

ولهذا يؤكد الشيخ – رحمه الله- على ذلك فيقول: (وأما الطريق الأخرى في إثبات الصفات [و] هي الاستدلال بالأثر على المؤثر، وأن من فعل الكامل فهو أحق بالكمال)[2].

وحتى يتم الاستدلال بهذه الطريقة بوجه صحيح لابد أن يكون الوصف وصف كمال في ذاته، بقطع النظر عن نسبته إلى الخالق أو المخلوق، وذلك كالإرادة، والحياة، والعلو، وأن تكون الصفة سالمة من استلزام ما ينافي بقية صفات الكمال الواجبة لله – تعالى- فكل ما كان من صفات المخلوق كالنوم، والطعام والشراب، فهي صفات كمال في حق المخلوق ، ولكنها صفة نقص في حق الله – عز وجل- لأنها تنافي كماله الواجب ينزه عنها – سبحانه وتعالى- .

(ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق، وهو نقص بالنسبة إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزماً لا مكان العدم عليه المنافي لوجوبه وقيوميته، أو مستلزماً للحدوث المنافي لقدمه، أو مستلزماً لفقره المنافي لغناه)[3].

وهكذا فإن كل صفة كمال ليس فيها نقص في حق الله- تعالى- فالخالق، المعطي والمبدع أحق بأن يتصف بها.

ثانياً: دلالة أفعال الله – تعالى –

إن من أعظم الأدلة العقلية الشرعية الدالة على صفاته – تعالى- أفعاله – عز وجل- في مخلوقاته كالخلق، والإحياء، والإماتة، والرزق، وإنزال الغيث، والتدبير وتصريف شئون الخلق، وإهلاك العصاة والمذنبين. وكلامه – تعالى- وهو من أفعاله المتعلقة بمشيئته، والقرآن كلام الله – تعالى- وهو غير مخلوق وهو من أكبر وأقوى الدلالات على صفات الكمال لله – عز وجل- وكذلك أحكامه الشرعية الدالة على علمه وحكمته وعدله – سبحانه وتعالى- وكل محسوس من أفعاله- تعالى- في هذا الكون أثر يُستدل به على كمال صفاته، والآيات الشاهدة بذلك كثيرة منها:

---

١ شرح العقيدة الأصفهانية، ص٨٦.

٢ مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٣٥٧.

٣ مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٨٧.

قوله – تعالى-: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ][1].

لقد دلت هذه الآية الكريمة (على علمه بالأشياء من وجوه تضمنت البراهين المذكورة لأهل النظر العقلي:

أحدها: إنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، فتضمن تقديرها في العلم قبل تكوينها.

الثاني: أنه مستلزم للإرادة والمشيئة، فيلزم تصور المراد، وهذه الطريقة المشهورة عند أكثر أهل الكلام.

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بالأصل يوجب العلم بالفرع فعلمه بنفسه يستلزم علم كل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو المقتضى للعلم بالأشياء، فيجب وجود المقتضي لوجود السبب التام)[2].

هذا يعني أن كل محسوس من أفعاله – تعالى- في هذا الكون يشير ويؤكد كمال صفاته- عز وجل-.

ثالثاً: إثبات صفات بنفي ما يناقضها

إن إثبات صفات الكمال لله – تعالى- يكون بنفي ما يناقضها، بمعنى أنه – عز وجل- لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالعلم لوصف بالجهل، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالغنى لوصف بالفقر، ولو لم يوصف بالبصر لوصف بالعمى – وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فمن خلال أفعاله في الكون وبما أنه هو المعطي والواهب صفات الكمال لمخلوقاته فإنه من باب أولى أن يكون متصفاً بالوصف الأعلى أي أكمل الوصفين المتقابلين، وكل نقص ينزه عنه غيره فالأولى أن ينزه عنه – عز وجل-.

ولو نظرنا إلى الآيات القرآنية لوجدنا أن القرآن يبطل ألوهية كل ما يعبد من دون الله – تعالى- بدلالة اتصافها بصفات النقص منها:

---

١ سورة الملك، الآية١٤.

٢ مجموع الفتاوى، الشيخ ابن تيمية، ج١٦، ص٦٠.

أ. أنها مخلوقة قال – تعالى-: [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ][1].

ب. عجزها عن الدفاع عن نفسها كما جاء في قوله – تعالى-: [لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ][2].

ج. أنها لا تسمع ولا تبصر كما قال – تعالى-: [إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ][3].

د. مسلوبة القدرة والإرادة وعاجزة عن الكلام فهي صماء بكماء لا تنطق. قال – تعالى-: [فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ][4].

وما دامت تلك صفاتها، وبما أنه قد جعلت كل صفات النقص دلالة على بطلان عبودية من اتصف بها فالواجب تنزيه الله – تعالى- عنها، وإثبات كمال ضدها له- عز وجل-، ولهذا يقول الشيخ" ابن تيمية" –رحمه الله – في صفات تلك المعبودات والتي أبطل القرآن ألوهيتها: (ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الأصنام بسلب "صفات الكمال" كعدم التكلم والفعل. وعدم الحياة. ونحو ذلك مما يبين أن المتصف بذلك منتقص معيب كسائر الجمادات. وأن هذه الصفات لا تسلب إلا عن ناقص معيب. وأما " رب الخلق" الذي هو أكمل من كل موجود فهو أحق الموجودات بصفات الكمال، وأنه لا يستوي المتصف بصفات الكمال والذي لا يتصف بها وهو يذكر أن الجمادات في العادة لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات.

فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصاف: فقد جعله من جنس الأصنام الجامدة التي عابها الله – تعالى- وعاب عابديها)[5].

ومن خلال ذلك يؤكد الشيخ" ابن تيمية" –رحمه الله-(إنه قد ثبت بصريح المعقول أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص، فإن الله يوصف بالكمال منهما دون النقص، فلما

---

١ سورة النحل، الآية ١٧.

٢ سورة الأنبياء، الآية ٤٣.

٣ سورة فاطر، الآية ١٤.

٤ سورة الأنبياء، الآية ٦٣.

٥ مجموع الفتاوى، ج٦، ص٨٢-٨٣.

تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت،..... وإذا كان مع المباينة لا يخلو إما أن يكون عالياً على العالم أو مساماتاً له، وجب أن يوصف بالعلو دون المسامتة، فضلاً عن السفول)[1] .

وبهذه الطريقة السمعية العقلية الشرعية والتي جاء بها القرآن نثبت كمال الصفات لله – تعالى- مع نفي ما يناقضها من صفات النقص كالصاحبة، والولد، وغيرها كما جاء ذلك في قوله – تعالى-: [قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ][2] .

وهكذا فالرب- سبحانه وتعالى- منزه عن كل ذلك وعن كل ما يلزم الحاجة والافتقار لأنها من صفات المخلوق، والخالق- عز وجل- صفاته الكمال التي تليق بجلاله وعظمته.

يقول – تبارك وتعالى-: [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ][3] .

المطلب الثاني: دور العقل في أدلة البعث والجزاء

البعث: (الإرسال وتأتي بمعنى نشرهم)[4] (وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلاً غير مختتنين)[5] كما قال – تعالى-: [كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ][6] .

إن وجوب وقوع البعث والجزاء لا محالة، ويعلم ذلك من جهة السمع، وأما دلالة العقل فيه فهي من حيث إمكانية وقوعه وعدم امتناع ذلك، ولا يمكن أن يقول بغير ذلك عاقل لأن الله – عز وجل- قد بين هذا في القرآن – الكريم- ولم يكتف ببيان إمكانيته في الذهن، بل بين انتفاء امتناعه في الخارج وذلك عندما نبه إلى وجوده، أو وجود نظائره، أو وجود ما هو أولى بالوجود منه.

ولهذا يقول الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله- : (فالله – سبحانه وتعالى- لم يكتف في بيان إمكان المعاد بهذا. إذ يمكن أن يكون الشيء ممتنعاً ولو لغيره وإن لم يعلم الذهن امتناعه، بخلاف الإمكان الخارجي.

---

١ درء تعارض العقل والنقل، ج٧، ص٥-٦.

٢ سورة يونس، الآية ٦٨.

٣ سورة الإخلاص.

٤ مختار الصحاح، محمد أبي بكر الرازي، ص٦٨.

٥ شرح الثلاثة الأصول، محمد صالح العثيمين، ص٧٢.

٦ سورة الأنبياء، ص١٠٤.

فإنه إذا علم بطل أن يكون ممتنعاً. والإنسان يعلم الإمكان الخارجي: تارة بعلمه بوجود الشيء، وتارة بعلمه بوجود نظيره، وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه)[1] .

وبالتأمل في الآيات القرآنية نجد أن الأدلة العقلية المستخدمة لإثبات إمكانية البعث والقدرة عليه تتمثل في الأقيسة العقلية والتي هي من قياس الأولى. وصور ذلك كثيرة ومتعددة في القرآن منها:

أ. خلق السموات والأرض وهي أكبر المخلوقات.

بما أن الله – تعالى- قادر على فعل ذلك فإنه من باب أولى أن يكون أقدر على خلق ما دونه.

يقول العلامة " صدر الدين ابن أبي العز الحنفي": (ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر)[2] .

يقول – عز وجل-: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][3] .

ب. بدء الخلق وإخراجه من العدم

وتتجلى في ذلك القدرة الإلهية على البعث وإمكانية الإعادة، لأن الله – تعالى- هو الذي بدأ خلق الخلق وأخرجهم من العدم إلى الوجود، ومن كان كذلك فهو أحق بالإعادة والبعث، ولهذا يقول- تبارك وتعالى-:[وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ][4] .

---

١ مجموع الفتاوى، ج٣، ص٢٩٨.

٢ شرح الطحاوية، ص٤٠٧.

٣ سورة الأحقاف، الآية٣٣.

٤ سورة الروم، الآية٢٧.

ويقول – عز وجل– أيضاً: [وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ][1] .

جاء في " شرح الطحاوية" أنه – تعالى– (احتج بالإبداء على الإعادة [وبالنشأة الأولى] على النشأة الأخرى. إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان على الأولى أعجز وأعجز. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه– اتبع ذلك بقوله: [وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ][2] . فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثاني فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن [قال من يحي العظام وهي رميم] [3])[4] .

ج. إحياء الأرض الميتة

لقد استخدم القرآن قياس الإعادة على إحياء الأرض الميتة الجدباء القاحلة، في الاستدلال على البعث بنظيره وقدرة الله – تعالى– على فعل ذلك، ولقد وردت نصوص كثيرة في القرآن – الكريم– وبصورٍ متعددة ومختلفة وجميعها تبرز فيها قدرته – تعالى– على الإعادة بعد الموت. منها:

قوله – عز وجل–: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][5] .

جاء في تفسير الشيخ " عبد الرحمن السعدي" – رحمه الله– أن من آياته – تعالى– (الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية [أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً] أي لا نبات فيها [فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ] أي: المطر [اهْتَزَّتْ] أي تحركت بالنبات [وَرَبَتْ] ثم: أنبتت من كل زوج بهيج، فيحي به العباد والبلاد.

---

١ سورة يس، الآية ٧٨.

٢ سورة يس، الآية ٧٩.

٣ سورة يس، الآية ٧٩.

٤ أبي المعز الحنفي، ص٤٠٦.

٥ سورة فصلت، الآية ٣٩.

[إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا] بعد موتها وهمودها [لَمُحْيِي الْمَوْتَى] من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم [إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]، فكما لم تعجز قدرته على إحياء الأرض بعد موتها لا تعجز عن إحياء الموتى) [1] .

و"لابن القيم" – رحمه الله- كلام جميل في هذا حيث يقول: (لقد ضرب الله – سبحانه – الأمثال وصرفها قدراً وشرعاً ويقظة ومناماً، ودلّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلى نظيره، واستدلالهم بالنظير على النظير) [2] وكل ذلك يتم بقدرته – عز وجل- وإرادته.

د. إخراج النار من الشجر الأخضر

يقول – تبارك وتعالى-: [قال مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا] [3] .

إن هذه الآية الكريمة فيها الحجة القاهرة، والبرهان الظاهر وكل ذلك يشير إلى قدرته العظيمة- عز وجل- والتي لا يمكن لعاقل إلا أن يسلم بها، إذ كيف (يخرج هذا العنصر (النار) الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ من الرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه – هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم) [4] .

ويؤكد ذلك الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – بقوله: (فيبين أنه أخرج النار الحارة اليابسة من البارد الرطب، وذلك أبلغ في المنافاة لأن اجتماع الحرارة والرطوبة أيسر من اجتماع الحرارة واليبوسة، فالرطوبة تقبل من الانفعال ما لا تقبله اليبوسة، ثم قال: [أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم] [5] وهذه مقدمة معلومة

---

١ تيسير الكريم الرحمن، ص٧٥٠.

٢ إعلام الموقعين، ج١، ص١٩٠.

٣ سورة يس، الآية ٧٨-٨٠

٤ شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص٤٠٧.

٥ سورة يس، الآية ٨١.

معلومة بالبديهة – ولهذا جاء فيها باستفهام التقرير الدال على أن ذلك مستقر معلوم عند المخاطب)[1] .

من خلال هذه الصورة الحية والمتمثلة في واقع هذه الحياة يؤكد لنا – تبارك وتعالى- إن القادر على إخراج النار الحارة من الشجر الأخضر أقدر على خلق الإنسان وإعادته إلى الحياة من التراب والذي ينتهي إليه.

هـ. إحياء الأموات في الدنيا

إن الله – تعالى- يجري سننه وقوانينه كيف يشاء وقد اقتضت إرادته ومشيئته – عز وجل- إحياء بعض الموتى في الحياة الدنيا وفي حالات معينة، وظروف مختلفة، ولقد تحدث القرآن عن ذلك في آيات كثيرة، منها قوله – تعالى-: [وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][2] .

وقوله – تعالى-: [أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ][3] .

وقوله – تعالى-: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ][4] .

لقد طلب" إبراهيم" – عليه السلام – من الله – تعالى- أن يريه كيف يحيى الموتى و لم يكن ذلك شك منه في قدرته – عز وجل- ولكن لكي يطمئن قلبه ويزداد إيمانه

---

١ مجموع الفتاوى، ج٣، ص٣٠٠.

٢ سورة البقرة، الآية ٧٢-٧٣.

٣ السورة السابقة، الآية ٢٥٩.

٤ السورة السابقة، الآية ٢٦٠.

فاستجاب له ربه وأراه كيف تتجمع الأجزاء المختلفة من الطيور، ثم كيف توحد أجـــزاء كل نوع فتأخذ الشكل الذي كانت عليه جسداً وروحاً بإذن الله.

لقد أراد الله – تعالى- أن يبين للعقل أن الأمر لا يحتاج إلا كلمة واحدة فتصـــبح جميع الأموات قائمة.

لقد جعل الله ذلك حجة على من أنكر البعث والإعادة، لأن من قدر على إحياء نفسٍ واحدة فهو أقدر على أحياء النفوس جميعاً، والعقل شاهد بذلك.

وهكذا فإن البعث والإعادة حقيقة كبرى لا يمكن إنكارها ولا الفرار منـــها لأن القادر العظيم – سبحانه وتعالى- قد بث في هذا الكون من الآيات الكثيرة وجعلها محيطة بالإنسان لكي لا يكون أمامه إلا الإقرار والاعتراف بها، أما عكس ذلـــك فهـــو إنكـــار وتجاهل لتلك الحقيقة التي اقتضتها الحكمة الإلهية، والعدل الإلهي، وذلك لتحقيق الجـــزاء الأخروي كما قال – تعالى- : [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُـــونَ ٢١ وَخَلَـــقَ اللَّـــهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ][1] .

والأدلة العقلية الشرعية المشيرة إلى لزوم ضرورة الجزاء الأخروي ترجع إلى صفتين عظيمـــتين مـــن صفاته- عز وجل- وهما الحكمة والعدل.

لقد خلق الله – تعالى- الإنسان وأعطاه العقل، وبه يستطيع أن يميز بين الحق والباطل، وبين الخـــير والشر، وبما أنه يستطيع التمييز ولديه القدرة على الاختيار فإن الحكمة الإلهية تقتضـــي أن يـــؤمر المكلـــف بالأخذ بكل ما هو خير وحق، وحسن، ويحث على ذلك ويرغب فيه، ويحذر وينهى عن كل ما هو باطـــل وشر وقبيح ويخوف منه ومن فعله، ومعلوم أن الترغيب والترهيب والحث إنما يكون بـــالجزاء، وهـــو غـــير متحقق في الدنيا إلا بشكل يسير، ولهذا فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هناك دار أخرى يقع فيها تمام الجزاء الإلهي وإلا لزم القدح في العدل والحكمة الإلهية، وفي صدق الوعد والوعيد – وتعالى الله عن ذلـــك علواً كبيراً- .

يقول الأستاذ الدكتور "يالجن": (وما يهمنا هنا أن نعرف أن هناك داراً للجزاء يجازى فيها كـــل واحد بما عمل من خير أو شر في هذه الحياة الدنيا وأن الكافر يجازى أسوأ الجزاء مدة دوام دار الجزاء تلك،

---

١ سورة الجاثية، الآية ٢١-٢٢.

وكذلك المؤمن الصالح يجازى أحسن الجزاء مدة دوام دار النعيم أو الجنة أو بتعبير آخر فكل واحد منهما في داره أو جزائه مادامت الجنة والنار)[1] .

قال – تعالى-: [بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][2] .

وقال – تعالى-: [وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى] [3] .

المطلب الثالث: دور العقل في دلائل النبوة

لقد جاءت دلائل النبوة العقلية في الكتاب والسنة وهي كثيرة ومتنوعة، ويعتمد عليها في كافة المسائل الاعتقادية ودلائلها السمعية، لأنها إذا ثبتت وجب عقلا قبول كل ما يخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم- عن الله – تعالى- وبقية الأصول العقائدية.

وبما أن النبوة أحد هذه الأصول فقد أحاطها الله – تعالى- بالآيات والبراهين الدالة على أنها حق وصدق من عند الله – عز وجل- فقال – تعالى-: [لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ][4] والبينات والدلائل التي أيدهم الله – تعالى- بها هي شهادته الحسية والعقلية لهم مع الشهادة القولية.

يقول – عز وجل-: [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ][5].

لقد بين القرآن إمكان الإرسال عقلاً وضرورته، واضطرار الناس إليه، وأن حاجتهم إليه أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والهواء، وبيان ذلك كالتالي:

أ. إمكانه: دليله جميع الأدلة الشاهدة على قدرته – سبحانه وتعالى- تؤكد أيضاً قدرته على إرسال الرسل – عليهم السلام – ولهذا يقول – عز وجل- في أول سورة أنزلها على نبيه

---

١ علم الأخلاق الإسلامية، ص٢٧٨.

٢ سورة البقرة، الآية ٨١.

٣ سورة طه، الآية ٧٥-٧٦.

٤ سورة الحديد، الآية ٢٥.

٥ سورة الرعد، الآية ٤٣.

ورسوله الكريم [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ][1].

يبين الله – تعالى- في هذه الآية – الكريمة- أنه إذا كان قد قدر على خلق الإنسان من العلقة، وجعله عالماً فهو قادر على تعليم وإرسال الأنبياء الذين اصطفاهم لرسالته، وتبليغ شرعه.

يؤكد ذلك الشيخ " ابن تيمية" – رحمه الله – فيقول (فإذا كان قد علمه هذه العلوم فكيف يمتنع عليه أن يعلمه ما يأمره به وما يخبره به)[2] وهو – سبحانه وتعالى- قادر على ذلك.

ب. ضرورة الإرسال: ويؤكد ذلك ويعضده الأدلة من القرآن والسنة، وتاريخ البشرية شاهد على أن الرسالات الإلهية إذا انعدمت في أمة عم الفساد والضلال في تصوراتهم وسلوكياتهم، ومتى وجدت انتشر الصلاح بين الناس وهذا دليل قوي على مدى حاجة البشرية إلى الرسالات السماوية.

يقول – تبارك وتعالى-: [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ][3].

وجاء في السنة ما رواه "مسلم" بسنده عن " عياض بن حمار" – رضي الله عنه- أن النبي – صلى الله عليه وسلم- خطب ذات يوم فقال في خطبته: إن ربي – عز وجل- أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: (كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم اتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ثم إن الله – عز وجل- نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجميهم وعربيهم إلا بقايا من أهل الكتاب..)[4].

---

١ سورة العلق،الآية١-٥

٢ النبوات، ص١٦٣.

٣ سورة البقرة، الآية ٢١٣.

٤ رواه مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ج٢، ص٣٢٠ وأحمد في مسنده، ج٤، ص١٦٢.

من خلال ما تقدم يظهر لنا مدى حاجة البشرية وافتقارها إلى الرسالات السماوية، ولهذا فقد اقتضت الحكمة الإلهية تنوع دلائل النبوة بما يتفق مع كل أمة من تلك الأمم، ومدى حاجتها إليها، ومن ذلك ما يلي:

١. الإخبار عن الأمور الغيبية

إن الله – تعالى- يطلع رسله- عليهم السلام- ما شاء لهم من غيبه وماله صلة برسالاتهم من الشرائع، وما تثبت به نبوتهم من إخبارات الغيب، وذلك كالإخبار عن الله – تعالى- وأسمائه، وصفاته وأفعاله، واليوم الآخر، والملائكة وسائر الأصول العقائدية الداخلة في قوله - عز وجل-: [الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ][1].

ويكون الإخبار بها على وجه التفصيل وذلك من أعظم الآيات الدالة على صدق الأنبياء، بل ومما يؤكد أنها حق، ويقين التوافق التام بين علومهم، وكونها يصدق بعضها بعض، مع اختلاف الزمان والمكان الذي ظهروا فيه.

قال – تعالى-: [وَقَالُوا لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى][2]، ومن تلك الأمور الغيبية التي أخبر بها – عليه الصلاة والسلام- ما كان يجري في الماضي من قصص الأمم السابقة مع رسلهم التي ورد ذكرها في القرآن – الكريم- والتي هي دلائل تشهد بصحة نبوته – عليه السلام- لأن قومه كانوا يعلمون إنه لم يتعلمها من بشر، ولم يكن مطلعاً عليها، بل هي إخبارات من عند الله – تعالى- يقول -تبارك وتعالى-: [وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ][3] .

يقول الشيخ" السعدي" – رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: (والمقصود : أن المجريات التي جرت لموسى – عليه السلام- في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أمرين:

---

١ سورة البقرة، الآية ٣.

٢ سورة طه، الآية ١٣٣.

٣ سورة القصص، الآية ٤٤.

إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها، فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد عُلم وتيقن أنه ما كان وما صار فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك فتعين الأمر الثاني: وهو أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي صحة رسالتك)[1].

ومن الأمور الغيبية أيضاً والتي أخبر بها – عليه الصلاة والسلام- الإخبار بالغيب في المستقبل، ودلالة ذلك لا تقع بها الحجة إلا عند وقوع ما أخبر به، وفق ما أخبر عنه قبل وقوعه، فإذا وقع ذلك، عرف صدق من أخبر به، وذلك لا يمكن أن يقع إلا من نبي أو من أخذ منه، ومعلوم أنه – عليه الصلاة والسلام- لم يأخذ من أحد من الأنبياء شيئاً، وذلك لاختلاف الزمان والمكان الذي ظهر فيه الأنبياء والرسل –عليهم السلام- فكان وقوع ما أخبر وفق ما أخبر عنه دليل على صدق نبوته، وأنها من عند الله – تعالى-.

والشواهد على ذلك كثيرة منها: قوله – تعالى-: [الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ][2].

وهكذا فإن دلالة الإخبار بالغيوب هو من أقوى الدلالات العقلية على صدق نبوة الأنبياء، وأن الله – تعالى- هو الذي يعلمهم ما يخبرون به، و لم يكن ذلك تكهن منهم، ولا طلب حيلة كما يظهر في أحوال المكذبين من الكهنة والعرافين والمنجمين وغيرهم.

٢. دلالة الآيات الحسية

وهي التي يظهرها الله – تعالى- على يد أنبيائه ورسله – عليهم السلام – سواء كان ذلك بطلب من النبي أو من قومه، كإنزال المائدة لعيسى، وقلب العصا حية لموسى، ونار الخليل إبراهيم، وانشقاق القمر لنبينا محمد – عليهم جميعاً الصلاة والسلام- كما قال – تعالى-: [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ][3] وكذلك نبع الماء من بين أصابعه، ومباركة الطعام.

---

١ تيسير الكريم الرحمن، ص٦١٧.

٢ سورة الروم، الآية ١-٥.

٣ سورة القمر، الآية١.

ويسمى هذا النوع من الآيات بالمعجزات لعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، وهي خرق للعادة، ونقض للسنن والقوانين الكونية، هي فعل الله – تعالى- يجريها على خلقه على وجه يدل على صدق النبوة فكأنه – عز وجل – يقول صدق عبدي فيما يبلغ عني، لأنه – تعالى- (إنما أجرى تلك المعجزة ليبرهن لنا على أنه هو وحده الخالق القادر على خلق النواميس وخرقها فإذا كان باستطاعة الإنسان أن يأتي بتلك المعجزة بقوة ناموس طبيعي آخر يكتشفه لا تكون معجزة ولا يكون لذكر الله لها في باب المعجزات حكمة ولا معنى)[1]- وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- .

ويشترط فيها التلازم ويكون بينها وبين دعوى النبوة وذلك بأن تقع وفق ما أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم- أو بطلب منه، أو مختصة به، وتقع على غير العادة والمألوف.

إن التأمل في هذه الآيات المشاهدة والمحسوسة، والتفكر فيها يحصل به العلم بمدلولها.

يقول الشيخ" ابن تيمية" – رحمه الله- : (وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها فلابد أن يكون مختصاً بها لا يكون مشتركاً بين الأنبياء وغيرهم فإن الدليل هو مستلزم لمدلوله لا يجب أن يكون أعم وجوداً منه بل إما أن يكون مساوياً له في العموم والخصوص أو يكون أخص منه وحينئذ فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء)[2].

ويقول أيضاً: (آية النبي لابد أن تكون خارقة للعادة بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين)[3].

---

١ الإسلام أمام العلم والفلسفة، نديم الجسر، ص٧٨-٧٩.

٢ النبوات، ص١١.

٣ المرجع السابق.

وفي ذلك تأييد من الله – تعالى- ونصرة [1] لأنبيائه ورسله- عليهم السلام- ويدخل في ذلك أيضاً عقوبته لأعداء رسله وإهلاكهم كإغراق فرعون وأتباعه وكذلك قوم نوح بالطوفان، وقوم صالح بالصيحة، وقوم هود بالريح.

كما قال – تعالى-:﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[2].

وقوله – تعالى-: [إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ] [3].

وهكذا فإن كل هذه الآيات تدلل على صدق نبوة أنبيائه – عليهم السلام- ومنهم نبوته – عليه الصلاة والسلام- ولهذا فقد أيده – تعالى- ونصرة ومكن لدينه من الظهور والانتشار، ولو لم يكن كذلك لما حصل له ذلك النصر والتأييد وتلك العاقبة.

قال – تعالى-: [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] [4].

المطلب الرابع: دور العقل في إعجاز القرآن

ووجه دلالته أن الخطاب فيه تحدي للإنس وللجن ولكل أحد على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ثم ذكر – تعالى- أنه لا أحد يستطيع أن يفعل ذلك وإن اجتمعوا له، يقول الشيخ "ابن تيمية" – رحمه الله- : (وهذا تعجيز لجميع الخلق الإنس والجن والملائكة كما قال – تعالى- في سورة البقرة [وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] [5])[6].

ويقول – تعالى-: [قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] [7].

---

١ لا يقتصر نصر الله – تعالى- لأنبيائه على الجانب الحسي وإنما إلى جانب ذلك النصر المعنوي ولكن تناولت الجانب الحسي هنا لموافقته الدلالة الحسية.

٢ سورة البقرة، الآية ٥٠.

٣ سورة الحاقة، الآية ١١.

٤ سورة الصافات، الآية ١٧١-١٧٣.

٥ سورة البقرة، الآية ٢٣.

٦ النبوات، ص٢١٦.

٧ سورة الإسراء، الآية ٨٨.

إن ذلك من أقوى الحجج والبراهين على صدق نبوته – عليه الصلاة والسلام- بل هو من أكبر الأدلة العقلية التي تؤكد هذا، لأنه إذا لم يكن بمقدور الجميع من الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو بأصغر آية منه فكيف يستطيع الواحد أن يأتي بمثل هذا الكتاب العظيم إلا أن يكون من عند إله عليم حكيم قدير؟

لقد شاء الله – تعالى- أن يكون القرآن الآية الكبرى الدالة على صدق نبوته – عليه السلام- بما احتواه من دلالات متعددة، لقد حوى ألفاظ ، ومعاني يعجز عنها محمد – عليه الصلاة والسلام- كما عجز عن ذلك الإنس والجن، لقد كان المعجزة الكبرى بفصاحته وبلاغته، وعدم تناقضه، واشتماله على العلوم والمنافع الكثيرة، والمنع من المفاسد، والأمر بالمصالح، والأحكام العادلة، والأخبار الصادقة، وأخبار الغيوب.

إن الحقيقة والتي لا نزاع فيها إن هذا الكتاب هو المعجزة الكبرى التي تحدى الله – تعالى- بها الإنس والجن ومازال هذا التحدي قائماً إلى أن تقوم الساعة وهذا التحدي هو الذي يشهد للقرآن بأنه معجزة في كل ما جاء به وأنه حق من عند الله – تعالى- وليس بمقدور بشر أن يأتي بمثله.

قال – تعالى-: [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٣ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ] [1].

(لقد ظهرت تلك المعجزة عندما أصبح العقل قادراً على تحمل مسؤولياته الشرعية التي كلفه – عز وجل- بها، لهذا جاء القرآن متفقاً مع منطق العقل في كل ما جاء به، وكانت تعاليمه وتشريعاته مطابقة لطبيعة النفس في جميع حالاتها) [2] ولم يبق للإنسان بعد ذلك عذر أو تبرير بل لابد له من التسليم إيماناً وعملاً به.

وهكذا نخرج من هذا البحث ومن خلال مباحثه، ومطالبه المصحوبة بالأدلة العقلية إلى الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها عاقل وهي: أن هذا الدين حق، وأن كل ما جاء به من عقائد وتشريعات يؤيدها العقل، ويؤكدها الواقع، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وأن المجتمعات البشرية لا يمكن أن تستقر ويصلح شأنها، بل ولا يمكن أن يعم فيها الأمن والسلام، ولن تصل إلى ما تصبوا إليه من تقدم وحضارة إلا بتطبيق هذا الدين كما جاء به نبي الله ورسوله المصطفى – عليه الصلاة والسلام-، والسير على منهجية السلف الصالح – رضي الله عنهم- والتمسك بها، لأن من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان

---

١ سورة هود، الآية ١٣-١٤.

٢ العقل والإيمان في نظر القرآن، فيصل بعلبك، ص٨٧.

من الأصول المتفق عليها بينهم أنهم لا يقبلون من أحد قط أن يعارض القرآن لا بعقل، ولا برأي، ولا بقول، ولا بغيره، لاعتقادهم أنه الحق والصواب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فدانت لهم الدنيا من مشرقها إلى مغربها وحققوا حضارة عظيمة عجزت عن تحقيق مثلها بشرية اليوم، وذلك لأن فيها فئات من الناس ممن تأثروا بالفلسفات الغربية وغيرها وهم الذين قصرت بل ضلت مفاهيمهم لمعاني الكتاب والسنة، فقدموا عقولهم السقيمة على النصوص الشرعية وطلبوا فهماً جديداً لها يكون تبعاً لما تمليه مقتضيات العصر، وتبريرهم لذلك إن البشرية قد بلغت سن الرشد فلا بد من رفع الوصاية عنها، بل بلغ الأمر ببعضهم أنهم أصبحوا ينظرون إلى هذا الدين أنه دين الجمود والتبعية بل إنه مجرد تراث مقدس ولهذا فقد طالبوا بفصله عن جميع جوانب الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية ونحوها، وهذا يعني الاعتراض على هذا الدين ورد ما جاء فيه من نصوص شرعية.

لقد أعرض هؤلاء عن طريقة السلف ومنهجيتهم واتبعوا أهوائهم وما تمليه عليهم عقولهم، وفتحوا باب الجدل والمناقشة في ثوابت الدين ومسلمات الأمة، بل أصبحت نصوص الكتاب والسنة تعارض بآراء وأفكار بشرية وبمسمى العقلانية والنظرة الواقعية كما يزعمون ذلك – ونسي هؤلاء أن هذا الدين دين الواقعية والعقلانية- ومن هنا كان تحكم العقول المريضة يلعب دوراً خطيراً في زعزعة ثقة الناس بنصوصهم الشرعية وقد وافق ذلك ظهور تيارات مختلفة تسعى جاهدة إلى إزاحة مصادر العلم والمعرفة الشرعية من نفوس المسلمين أو تهميشها بل وجعلها تابعة لغيرها من المصادر البشرية الأخرى، وفي ذلك تمييع للنصوص الشرعية وترويج للأفكار المادية العلمانية وغيرها وفي ذلك أيضاً جرأة على الدين وقد حذر الإسلام من ذلك تحذيراً شديداً فقال – عز وجل-:[فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا] [1].

وقال – تعالى- أيضاً: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُّبِينًا] [2].

وهذا يعني التسليم لهذا الدين ولما جاء به عقيدة وشريعة لاسيما وأن كل ما جاء به إنما هو موافق للعقل والفطرة البشرية، ومن كان له قلب سليم، وعقل صريح يوافق هذا الدين الصحيح.

---

١ سورة النساء، الآية ٦٥.

٢ سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

الخاتمـــــة

الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم الأنبياء والمرسلين وبعد.. لقد انتهى البحث بحمـــد الله – تعالى- على العديد من النتائج المهمة والتي أجملها في النقاط التالية:

أولاً: أن هذا الدين حق في كل أصوله وتشريعاته ولهذا جاءت نصوصه تحث الإنسان على التأمـــل والتفكر والتدبر في آياته حتى يصل العقل من خلالها إلى هذه الحقيقة الكبرى.

ثانياً: لقد أعطى الإسلام للعقل أهمية كبرى عندما جعله شرطاً للتكاليف الشرعية.

ثالثا: العقل في الشرع صفة مدح وثناء ، ومذمة في حالة عدمه. كما قال – تعالى-: [لَـــوْ كُنَّـــا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ] [٢١٣].

رابعاً: الإسلام هو الدين الوحيد الذي كرم العقل وأعطاه مكانته وقيمته ويبرز ذلك مـــن خـــلال كثرة الآيات التي تتحدث عنه.

خامساً: العقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يبين إلا بالعقل، وكلاهما لله – تعـــالى- فلابـــد للعقل أن يتبع شرع خالقه.

سادساً: الإسلام أعطى للعقل حريته ولكنها مقيدة ومحددة تعمل تحت ضوء النصوص الشـــرعية، فالشرع كالنور والعقل كالبصر.

سابعاً: العقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهية نفياً أو إثباتاً إلا بتلقيها من النبوات.

ثامناً: الإسلام جعل للعقل دوره ووظيفته في المسائل العقائدية ولكن لا يخرج ذلك عن فهم معانيها والمراد بتبليغها.

تاسعاً: الإسلام لم يحجر على العقل حتى يأتي من يطالب برفع الوصاية عنه، وإنما جعل له ســـلطته وجعل مجال ذلك في الأمور الدنوية كالصناعة، والفلاحة، والبناء، وغيرها مما يستطيع العقـــل الإبداع فيه.

---

٢١٣ سورة الملك، الآية ١٠.

عاشراً: الاعتماد على العقل وحده في المسائل العقائدية يؤدي إلى الانحراف والضلال، وقد كان الفلاسفة والمتكلمون خير شاهد على ذلك.

الحادي عشر: ميز الإسلام الإنسان عن بقية الحيوانات بعقله ولذلك لا يمكن له الاستغناء عنه لأن ذلك يؤدي إلى التخبط والفساد ومثالنا على ذلك الصوفية.

الثاني عشر: إن العقول السليمة والمؤيدة بتوفيق الله – تعالى- ترى أن ما جاء به الرسول – عليه السلام- هو الحق الموافق للعقل والحكمة، والعقول السقيمة والتي أحاطت بها الشبهات والأهواء ترى المعارضة بين النقل وما جاءت به العقول البشرية.

والله ولي التوفيق،،،

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. كتب السنة.

٣. ابن سينا، *الشفا*، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان، www.al-mostafa.com.

٤. ابن سينا، *النجاة*، تقويم موقع الفلسفة الإسلامية، دار الإيمان.

٥. ابن منظور، *لسان العرب*، دار لسان العرب، بيروت.

٦. أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي، *الاعتصام*، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٧. أبو الحسن الأشعري، *رسالة إلى أهل الثغر*، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، مكتبة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٨. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *الفرقان*، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى والثانية، ١٣٨٢هـ /١٣٩٠هـ.

٩. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *الرد على المنطقيين*، إدارة ترجمان، السنة، لاهور، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٠. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١١. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *درء تعارض العقل والنقل*، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٢. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية*، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *التدمرية*، مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٤. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *الفتوى الحموية الكبرى*، دار الصميعي، ط٢، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٥. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *شرح العقيدة الأصفهانية*، دار الكتب الحديثة.

١٦. أبو العباس أحمد بن تيمية، *بيان تلبيس الجهمية*، دار القاسم.

١٧. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، *النبوات*، دار الفكر، بيروت.

١٨. أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل*، ص ٤٦٧-٥٣٨.

١٩. أبو حامد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٠. أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور السمعاني، *الأنساب*، دار الجنان، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١. أبو عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير، *ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان*، دار الكتاب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٢٢. أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، *أصول الدين البغدادي*، دار الفنون التركية، استانبول.

٢٣. أ. س. رابويرت، ترجمة أحمد أنيس، ط٨، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٤. إبراهيم بن محمد الييجوري، *شرح جوهرة التوحيد*، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو، اليابان، www.al-mostafa.com .

٢٥. إسلامية المعرفة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٦. الإمام أحمد بن حنبل، *المسند وبهامشه كنوز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٧. بطرس البستاني، *قطر المحيط*، مكتبة لبنان.

٢٨. جلال الدين السيوطي، *صون المنطوق الكلام عن فن المنطق والكلام*.

٢٩. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن إبن الجوزي البغدادي، *تلبيس إبليس*، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٣٠. جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري.

٣١. الحارث بن أسد المحاسبي، *العقل فهم القرآن*، دار الكندي، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣٢. الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، دار المعرفة.

٣٣. راجح عبد الحميد الكردي، *نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة* ، ط١، مكتبة المؤيد، المملكة العربية السعودية.

٣٤. سيد قطب، *في ظلال القرآن*، ط٢، طبع بدار إحياء الكتب العربية.

٣٥. شمس الدين أبو عبد الله بن الشيخ الشهير المعروف بابن قيم الجوزية، *الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*، دار العاصمة.

٣٦. شمس الدين محمد بن أبو بكر المعروف بابن قيم الجوزية، *الفوائد*، دار النفائس، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٧. شمس الدين محمد بن أبو بكر المعروف بابن قيم الجوزية، *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، دار الفكر، بيروت.

٣٨. صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبو العز الحنفي، *شرح العقيدة الطحاوية*، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.

٣٩. طاهر الجزائري، *الجواهر الكلامية في العقيدة الإسلامية*، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٠. عبد الرحمن بدوي، *موسوعة الفلسفة*، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م.

٤١. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن*، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٢. عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، دار الكتاب العربي، ١٤٢٦هـ، بيروت.

٤٣. عثمان بن علي حسن، *منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد*، مكتبة الرشد الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ط ١٤٣٢هـ/ ١٩٩٣م.

٤٤. عضد الله القاضي وعبد الرحمن بن أحمد الايجي، *المواقف*، عالم الكتب، بيروت.

٤٥. على الطنطاوي، *تعريف عام بدين الإسلام*، مؤسسة الرسالة، ص١١-٦٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٦. علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي، *أدب الدنيا والدين*، www.balligho.com .

٤٧. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم* ، دار إحياء الكتب العربية.

٤٨. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير*، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٩. فيصل بعلبك، *العقل والإيمان في نظر القرآن*، دار الندوة الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٥٠. القاضي عبد الجبار، *شرح الأصول الخمسة*، تعليق أحمد بن الحسين بن أبو هاشم حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، ط١، مكتبة وهبه.

٥١. محمد إبراهيم الفيومي، *المعتزلة تكوين العقل العربي أعلام وأفكار*، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٢. محمد بن إبراهيم الوزير اليماني، *العواصم والقواصم*، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٣. محمد بن أبو بكر عبد القادر الرازي، *مختار الصحاح*، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ.

٥٤. محمد بن صالح العثيمين، *شرح الثلاثة والأصول*، دار الجوزي، ١٤٢١هـ.

٥٥. محمد جمال الدين القاسمي، *دلائل التوحيد*، دار النفائس، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٥٦. محمد فؤاد عبد الباقي، *المعجم المفهرس لألفاظ القرن الكريم*، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٧. محمد ناصر الدين الألباني، حققها جماعة من العلماء والتوضيح بقلم زهير الشاويش، *شرح العقيدة الطحاوية*، ط١، ١٣٤٧، مكة، ط٢، ١٣٧٣، مصر، ط٣، ١٣٨١، دمشق، ط٤، ١٣٩١، بيروت، ط٥، ١٣٩٩، بيروت، ط٦، ١٤٠٠، بيروت.

٥٨. محي الدين بن عربي، *خصوص الحكم*، والتعليق عليه أبو العلا عفيفي،دار الكتاب العربي.

٥٩. محمد الدسوقي، *حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين لمحمد السنوسي*، طبعة مصر، www.al-mostafa.com .

٦٠. مقداد يالجن، *علم الأخلاق الإسلامية*، دار عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦١. مهدي أبو سعده، *الاتجاه العقلي في مشكلة المعرفة عند المعتزلة*، دار الفكر العربي، القاهرة.

٦٢. موقع شبكة مشكاة الإسلامية، *تاريخ ابن خلدون*.

The intellect: Its status and Role in Primary Islamic Beliefs

Dr Najat Al-Deeb
Assistant Professor
Islamic Education Department
College of Education, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

This research paper aims to address one of the most important contemporary Islamic issues, namely: accusations of the Sunnah-followers' approach with narrow-mindedness, superficiality, rigidity, and inability to cope with present-day realities and requirements. Such accusations are invalid and unjustified. Therefore this paper aims refute those charges and justify the path of true Islam culminated in the Sunnah-followers' Approach. Such approach has a balanced look at the intellect and identifies the exact purposes for which it was created, without granting the intellect a more sublime position than that of Islamic Shariah. Unlike other past and present sects such as controversialists and philosophers who have looked upon the intellect as a holy entity and made it a source of receiving divine legislative revelations. Thus they approve of what agrees with the mind and reject or twist what does not. Similarly, Sophists and psychics have eliminated the mind and have accepted irrational issues. The present study has concluded that Islam places great emphasis on the intellect by making it a condition for holding a person accountable for carrying out the primary rituals of Islam. Our intellect is guided by the Islamic Sharia and the Islamic Sahria is understood and clarified by intellectual reasoning. Depending solely on the intellect in faith issues may lead to deviation and misguidance.